

سلسلة الثقافة الإسلامية

(٦١)

**الزيارة
أبعادها السياسية والحركية**

الاصدار الثاني

محمد مهدي الأصفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات
الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله



اسم الكتاب: الزيارة - أبعادها السياسية والحركية
المؤلف: محمد مهدي الآصفي
الطبعة الثانية: ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
الكمية ٥٠٠٠ نسخة
المطبعة: مطبعة مجمع أهل البيت عليه السلام النجف الأشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ الصافات / ٧٩

﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ الصافات / ١٠٩

﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ الصافات / ١٢٠

﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ الصافات / ١٣٠

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى

الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الصافات / ١٨٠-١٨٢

أسرة التوحيد في التاريخ

أسرة التوحيد أسرة واحدة في القرآن، موصولة الحلقات، ورائد هذه الأسرة و أبوها إبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام).

يقول تعالى: (هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ).^(١)

و رسول الله (صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء في هذه الأسرة، و به (صلى الله عليه وآله) تختم رسالات الله و تكتمل^(٢)، و هذه الأسرة شجرة طيبة،

(١) الحج: ٧٨.

(٢) اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي.

ممتدة الجذور، مباركة الأغصان و الفروع، طيبة الثمار، ممتدة في التاريخ، واحدة بنص القرآن: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون).^(١)
(وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون).^(٢)

و للقرآن اهتمام بإبراز وحدة هذه الأسرة و تماسكها و تمتين العلاقة بين شرائح هذه الأسرة الواحدة وأجزائها، و تعميق العلاقة داخل هذه الأسرة.

و يدخل هذا الإهتمام في صلب منهج التربية الاسلامية في الإشعار بوحدة هذه الأسرة، و في تعميق الإيحاء بالإنتماء إلى هذه الأسرة. و في طرح رموز هذه الأسرة ورجالها الصالحين قدوة و أسوة

(١) الانبياء: ٩٢.

(٢) المؤمنون: ٥٢.

في حياة الناس، وفي تأكيد وراثته التوحيد وقيم التوحيد داخل هذه الأسرة جيلاً بعد جيل وفي تمتين العلاقة بين حلقات هذه الأسرة.

التواصل واللقاء بين اجيال هذه الاسرة:

و فيمايلي أمثلة من إهتمام القرآن بهذا التواصل بين حلقات هذه الأسرة في التاريخ، وربط الحاضر بالماضي، والفروع بالأصول:

١ - التعارف داخل هذه الأسرة والتذكير بالصالحين من أعضاء هذه الأسرة، والتنوية بأسمائهم، والإشادة بذكورهم والتعريف بهم، وفي القرآن إهتمام كبير بهذا الأمر واليكم شواهد على هذا الإهتمام:

(وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا).^(١)

(١) مريم: ١٦.

(وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا).^(١)

(وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا).^(٢)

(وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ).^(٣)

(وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا).^(٤)

(وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ).^(٥)

(١) مريم: ٤١.

(٢) مريم: ٥١.

(٣) مريم: ٥٤.

(٤) مريم: ٥٦.

(٥) ص: ١٧.

(وَأذْكَرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ
الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَبٍ).^(١)

(وَأذْكَرُ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ
أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ
ذِكْرَى الدَّارِ).^(٢)

(وَأذْكَرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ
الْأَخْيَارِ).^(٣)

٢ - إقامة العلاقة بين حلقات هذه الأسرة على
أساس «السلام» و إنتزاع الغل و الحقد والحسد من
بين أجيال هذه الأسرة و ربط الحاضر بالماضي و
الإبناء بالآباء، والخلف بالسلف الصالح من هذه
الأسرة على أساس «السلام»، و علاقة السلام من أبرز
و أفضل العلاقات داخل هذه الأسرة، يقول تعالى:

(١) ص: ٤١.

(٢) ص: ٤٥ - ٤٦.

(٣) ص: ٤٨.

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ
فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ).^(١)

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى
إِبْرَاهِيمَ).^(٢)

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى
وَ هَارُونَ).^(٣)

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَ هَارُونَ).^(٤)

(١) الصافات: ٧٩ - ٨١

(٢) الصافات: ١٠٩.

(٣) الصافات: ١٢٠.

(٤) الصافات: ١٣٠.

(وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ).^(١)

والسلام من عند الله لا وليائه وانبيائه يستتبع سلام
المؤمنين والمسلمين لهم من كل الاجيال. والسلام
على الانبياء يستدعي السلام على الصالحين من
أممهم، وهكذا تتصل العلاقة بين أطراف هذه الأمة
الكبيرة بالسلام.

و علاقة السلام تقتضي وحدة المنطلق، ووحدة
الغاية، و وحدة الخط، ووحدة الاداة في تحقيق تلك
الغاية، ووحدة المنهج، ووحدة السلوك والرأي.
و من دون هذه الوحدة الشاملة لا معنى لهذا
«السلام».

(١) الصفات: ١٨١.

٣ - علاقة التوارث بين أجيال هذه الأسرة، فيرث الخلف الصالح من السلف الصالح: التوحيد وقيم التوحيد و الدعوة الى التوحيد.

يقول تعالى:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾. (١)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾. (٢)

﴿وَالَّذِينَ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾. (٣)

(١) الصافات: ١٨١.

(٢) غافر: ٥٣.

(٣) المؤمنون: ١٠.

(وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ).^(١)

و بموجب هذه العلاقة يأخذ الخلف من السلف
التوحيد و قِيم التوحيد، لينقل بدوره هذه القِيم الى
الجيل الذي يلي من بعده.

٤- تعميق الإنتماء الى هذه الأسرة، و قد اعتبر الله
تعالى إبراهيم (عليه السلام) رائد هذه الأسرة أباً لكل
الموحدّين، و اعتبر هم أبناء له.

و هذا الإنتماء الواضح و الصريح يربط أجيال
هذه الأسرة بعضها ببعض بأقوى الوشائج و
العلاقات.

يقول تعالى:

(هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ
حَرَجٍ مَلَّةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ

(١) الاعراف: ١٧٠.

مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ
تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ).^(١)

٥- و أمر الله تعالى أجيال هذه الأسرة بالاقتداء
بالأنبياء و المرسلين و الصالحين و الصديقين من
أعضاء هذه الأسرة من الماضين و المعاصرين.

يقول تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ).^(٢)

(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ
وَالَّذِينَ مَعَهُ).^(٣)

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ
يَرْجُوا اللَّهَ).^(٤)

(١) الحج: ٧٨.

(٢) الاحزاب: ٢١.

(٣) الممتحنة: ٤.

(٤) الممتحنة: ٦.

و بعد أن يستعرض القرآن عدداً من أنبياء الله و أولائه الصالحين يأمر تعالى بالإقتداء بهم و الأخذ بهداهم و الإقتباس مما رزقهم الله تعالى من النور، يقول تعالى:

(وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ
نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ *
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَ نُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَ مِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ
أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى
وَ إِبْرَاهِيمَ كُلًّا مِّن الصَّالِحِينَ * وَ إسماعيلَ وَ
اليسعَ وَ يونسَ وَ لوطاً وَ كلاً فضَّلنا على
العالمين * وَ مِن آبائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ

وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ...
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَفْتَدِهِ. (١)

٦ - علاقة الدعاء: دعاء الجيل اللاحق للجيل السابق وهو من أروع وأفضل العلاقات بين الخلف والسلف، الشهادة من الخلف للسلف بالسبق والإيمان، والدعاء الى الله تعالى لهم بالمغفرة والرحمة.

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ، يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا... رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ). (٢)

إذن الإرتباط والإنشداد بالسلف الصالح جزء أصيل من منهج هذا الدين في التربية.

(١) الانعام: ٨٣ - ٩٠.

(٢) الحشر: ١٠.

و للتواصل والإرتباط بين الأجيال في القرآن ثقافة متميزة، يتقف بها القرآن المؤمنين على الإرتباط و الإتصال عبّر الأجيال داخل الأسرة المسلمة، الممتدة من عهد إبراهيم(عليه السلام) بل من عصر نوح (عليه السلام) الى اليوم، عبّر أنبياء عظام، أولي العزم مثل موسى بن عمران، و عيسى بن مريم(عليه السلام) و من اولئك خاتم الأنبياء رسول الله(صلى الله عليه وآله) و هذا التواصل و الارتباط من أهم خصائص أسرة التوحيد.^(١)

الزيارة :

و اذا عرفنا أنّ «التواصل» و «التوارث» و «التسالم» و «التحابب» و «التلاقى» بين أجيال الموحدين من خصائص هذا الدين ... عرفنا أن الوسائل التي تبلور هذا «اللقاء» بين الأجيال، و تعبّر

(١) نقصد بذلك من لم يشط عن صراط التوحيد.

عن مشاعر الخلف تجاه السلف، ... هذه الوسائل تدخل في صميم منهج التربية الاسلامية لتحقيق تلك الغاية.

و زيارة قبور الأنبياء و خلفائهم (عليهم السلام) و أولياء الله و الصالحين من عباد الله، و السلام عليهم، و الدعاء لهم، و الشهادة لهم باقامة الصلاة و ايتاء الزكاة و الأمر بالمعروف من أهم عوامل تبلور هذا اللقاء بين أجيال المؤمنين.

ففي هذه الزيارات التي يألّفها المؤمنون لقبور أنبياء الله واوليائه و قبور المؤمنين و ما يقترن بها من سلام و دعاء و شهادة يعبر المؤمنون عن هذه المشاعر جميعاً تجاه أمة من المؤمنين سبقتهم بالايمان، و أقامت الصلاة، و أدّت الزكاة، و أمرت بالمعروف، و نهيت عن المنكر، و نهضت برسالة الدعوة الى توحيد الله تعالى، قبلها، و وطّأت لها

الطريق الى الله، وعبّدت الناس لله تعالى، ورفعت
كلمة التوحيد من قبلها بين الناس.

و لا بُدّ لهذا الجميل، من وفاء، والزيارة تعبير
عن هذا الوفاء، وفاء الأبناء للآباء.

ولا بُدّ لهذا الدور الرائد في الدعوة الى
توحيد الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من شهادة،
والزيارة تعبير عن شهادة الأبناء للآباء، والسلف
للخلف.

والزيارة تعبير عن مشاعر السلام والحب في
علاقة الخلف بالسلف، وتجسيد لما أمر الله تعالى به
من التواصل، والتراحم بين المؤمنين والتأسي
بالصالحين، وذكرهم، والتذكير بهم، والاشادة
بذكرهم.

وقد أَلّف المؤمنون كل ذلك بصورة فطرية في
حياتهم في زيارة قبور الأنبياء والصالحين بل
المؤمنين جميعاً، وقد صحّ ان أصحاب رسول

الله (صلى الله عليه وآله) كانوا يزورون قبور شهداء
احد و قبر حمزة (عليه السلام) ، كما صحت
الروايات ان فاطمة (عليها السلام) ابنة رسول
الله (صلى الله عليه وآله) كانت تلتزم بزيارة قبر
حمزة (عليه السلام) و تقترن هذه الزيارات غالباً
بالصلاة و الدعاء و الذكر و الإقبال على الله؛ و
النصوص المأثورة في الزيارات غنية بذلك كله.

و من عجب أن بعض المذاهب الاسلامية ينكر
على المسلمين الإهتمام بزيارة قبور الأنبياء و أئمة
المسلمين و الصالحين و الدعاء و الصلاة عند
قبورهم. و يشذ هؤلاء عن الحالة العامة التي يألفها
المسلمون في التردد على قبور الصالحين ، و
زيارتهم و الدعاء و الصلاة و الذكر عند قبورهم و
تعد ذلك منكراً و من الشرك بالله العظيم.

و لسنا نعرف سبباً لذلك غير أن نقول أن هؤلاء
لم يحسنوا فهم هذا الشعار الاسلامي الذي يألفه

المسلمون ويتقربون به الى الله و المفاهيم و القيم
التي يتضمنه هذا الشعار.
ولست ادري أي منكر هذا المنكر الذي لم
يرتدع المسلمون عنه، مع هذا الإنكار والتشديد
الغليظ في المنع عنه منذ نصف قرن.
فإمّا أن نتّهم فهم المسلمين و وعيهم لدينهم
جميعاً في القارات الخمسة بعد هذا الإنكار و
التشديد في المنع منذ نصف قرن.
و إمّا أن نتّهم هؤلاء المتشددين في الحجاز في
فهمهم للتوحيد و الشرك.
سدّد الله الجميع و أخذ بأيدينا الى مرضاته على
صراطه المستقيم.

دراسة في مضامين نصوص الزيارات

إن مضامين نصوص الزيارات الواردة عن اهل البيت عليهم السلام في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته والانباء عليهم السلام حافلة بكثير من الافكار والمفاهيم والثقافات الايمانية والحركية والحضارية.

وقد عمل علماءنا شروحاتاً على هذه الزيارات مثل شروح زيارة عاشوراء وزيارة الجامعة وهي شروح غنية بالأفكار.

ولكن رغم ذلك لا تزال طائفة من المفاهيم الثقافية والحضارية والحركية والايمانية والولائية في هذه الزيارات بحاجة الى المزيد من الدراسة والتنظير.

وليس بوسعنا لان ان نملاً هذا الفراغ الثقافي، فهو يحتاج الى وقفات طويلة عند هذه النصوص لاستجلاء ما فيها من المفاهيم إلا أن الميسور، كما يقول الفقهاء لا يترك بالمعسور.

ولذلك فسوف نحاول إن شاء الله أن نقف وقفات قصيرة عند طائفة من هذه الافكار والمفاهيم، على أمل ان يقيض الله تعالى لنا من علمائنا ومحققينا من يتولى هذه الدراسة بشكل واف وكامل إن شاء الله.

محور الولاء والبراءة في الزيارات

توزع المفاهيم والافكار التي تتضمنها نصوص الزيارات على محاور عديدة كثيرة. إلا أنّ أعظم هذه المحاور وأكثرها غناءً في هذه النصوص بلا ريب، هو محور الولاء والبراءة بالتأكيد.

وسوف نخصّص هذا المحور بدراسة مستقلة إن شاء الله، بقدر ما يتسع له صدر هذا البحث، ثم نعقبه بدراسة المحاور الاخرى إن شاء الله.

ولا بد لنستوفي الحديث عن نصوص الزيارات التي تتضمن محور الولاء والبراءة ان نتحدث اولاً بشكل موجز عن الولاء، لنتمكن بعد ذلك من ان ندرس المفاهيم والافكار المرتبطة بهذا المحور في نصوص الزيارات.

ومعذرة الى القارئ، اذا أخرجناه في هذا البحث عن سياق الكلام، فان ذلك لا بدّ منه اولاً، وهو بحث نافع ومفيد ثانياً، يدخل في جلب الثقافة الاسلامية، ويعدّ من أهم اركان الثقافة الاسلامية.

الولاء

الولاء: منظومة ثقافية كاملة في الاسلام.
يوليها القرآن عناية كبيرة جداً، تأتي في صدر الامور التي يعني بها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهي ثقافة جديدة تماماً، لا نعرف لها قبل الاسلام نظيراً في ثقافات الوحي التي كان يتلقاها ويتوارثها الانبياء ؑ، ولا في الثقافات الجاهلية التي كانت تتوارثها الحضارات الجاهلية قبل الاسلام.
ولأول مرة في تاريخ الثقافة، نلتقي مصطلح الولاء والولاية في الادبيات الاسلامية غنياً بالافكار والمفاهيم والقيم، ثم انتشرت هذه الثقافة بعد ظهور الاسلام بين الامم والشعوب انتشاراً واسعاً، وان كان يشوبها الغموض والانحراف كثيراً في التطبيق. مثل (الولاء للوطن والقوم) الذي يشيع اليوم كثيراً في الثقافات الوطنية والقومية.

وهذه الثقافة هي باختصار ثقافة «العلاقة»، وهي المنظومة الثقافية التي تنظم علاقات الانسان (الفرد- الامة) بالآخرين، وهي ثقافة مهمة وخطيرة وضرورية في حياة الامم فان ثقافة العلاقة تحفظ للامة تماسكها وشخصيتها وتمايزها وهويتها، وتنظم علاقة الانسان بما حوله، ومن حول من فوقه.

وسلامة حياة الانسان وسعادته، يرتبط الى حد كبير بالمنظومة الثقافية التي تنظم علاقاته بالآخرين. وللإسلام إهتمام بالغ بثقافة الولاء.

فهي تنظم علاقة الانسان المسلم بالله تعالى وبرسوله وانبيائه، وبرسول الله ﷺ، وبأئمة المسلمين من بعد رسول الله ﷺ..... هذا على البعد العمودي كما تنظم علاقة الانسان المسلم بالمسلمين في مشارق الارض ومغاربها، وهي العلاقة الداخلية بين اعضاء هذه الاسرة الكبيرة العريضة على وجه الارض.....

وهذا على البعد الافقي، وسوف يأتي توضيح ذلك ان شاء الله باختصار في هذه الدراسة.

والوجه الآخر لهذه الثقافة، ثقافة البراءة، وهي تحدد علاقة المسلمين بأعداء الله ورسوله واعداء الاسلام والامة، وهي العلاقة التي يصطلح في أدبياتنا الاسلامية بالبراءة.

وهذه المساحة من العلاقات الايجابية والسلبية اوسع مساحة نعرفها في العلاقات وتغطيها جميعاً ثقافة الولاء والبراءة، وهي ثقافة مقننة وواضحة، ومبينة في القرآن وحديث رسول الله ﷺ واهل بيته عليه السلام وفي كلمات الفقهاء، وغنية بالافكار والمفاهيم والقيم.

يقول تعالى: ﴿أَنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

(١) المائدة (٥٥)

ثقافة الولاء

وسوف نتحدث عن ثقافة الولاء والبراءة ان شاء الله بقدر ما يتعلق بمهمتنا في هذا البحث ضمن مجموعة نقاط باختصار.

١- خطوط الولاء

للولاء خطان رئيسيان^(١) ومن دونهما لا نفهم الولاء، وهما الولاء في الخط العمودي، والولاء في الخط الافقي.

ونقصد بالولاء في الخط العمودي ولاية الله تعالى على عباده، وفي امتداد ولاية الله ولاية رسول الله ﷺ، وفي امتدادها ولاية خلفاء رسول الله ﷺ من أهل بيته عليهم السلام.

(١) والعلاقة بينهما من نوع الاشتراك المعنوي وليس من الاشتراك اللفظي، والمعنى الوجداني المشترك بينهما هو الاولوية الحاصلة بالقرب والدنو للكلام تفصيل يسعه المقام.

وفي امتدادها في عصر الغيبة، ولاية الفقهاء
المتصددين لشؤون المسلمين.

وهو قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ﴾^(١).

وإذا ضمنا الى هذه الآية الكريمة الروايات
المتضاربة عن طريق الفريقين: أن هذه الآية الكريمة
نزلت في الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، بعد ما
تصدق بخاتمته في الركوع ... نعرف المواقع الثلاثة
للولاية في هذه الآية الكريمة.

وهو موقع الالوهية، وهو الأصل والاساس في
الولاية والمصدر الشرعي لكل ولاية مشروعة.

وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الموقع الثاني للولاية،
ويأتي في امتداد ولاية الله.

(١) المائدة (٥٥)

والموقع الثالث ولاية علي بن ابي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو المقصود ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ كما تضافرت به الروايات عن طريق الفريقين، في شأن نزول هذه الآية الكريمة، وهي تأتي في امتداد ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وبأذن الله.

هذا في النسغ النازل (ولاية الله ورسوله وأئمة المسلمين على المسلمين) وفي مقابل النسغ النازل، النسغ الصاعد، وهو طاعة المسلمين لله ورسوله واولياء امور المسلمين، وهو قوله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ ^(١).

ومواقع الطاعة في هذه الآية هي موقع الالوهية أولاً، وهو الموقع الاصل والاساس للطاعة ولا طاعة لأحد على أحد الا بأذن الله وأمره، ثم موقع الرسالة، ويأتي

(١) النساء (٥٩)

في امتداد موقع الألوهية، وبأذن الله، ثم موقع
الولاية، وتأتي في امتداد الرسالة، وبأذن الله.
وكما تجدون فإن مواقع الطاعة هي نفسها مواقع
الولاية غير انها تقع في النسغ الصاعد من الأمة الى
الله ورسوله واولياء الامر.

وهذا هو الخط العمودي للولاية، نازلاً وصاعداً.
وأما الخط الافقي للولاية فهو ولاية المسلمين
بعضهم لبعض كافة، من شتى الاقطار، ومن شتى
القوميات والشعوب، فهم جميعاً أمة واحدة، بعضهم
اولياء بعض.

يقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ﴾^(١).

﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ﴾^(٢).

(١) التوبة (٧١)

(٢) الانفال (٧٢)

وعلاقة الولاء، داخل هذه الامة، بعرضها العريض،
من أمتن العلاقات وأكثرها إستحكاماً، وهي أقرب
شيء الى العلاقة العضوية التي تربط اعضاء الجسم
الواحد بعضها ببعض.

وهذه العلاقة العضوية، قائمة كذلك في اطراف
الشرك والكفر والنفاق، والاسرة المقابلة لأسرة
التوحيد، عند ما يجمعهم العداة والبغضاء والمكر
لأسرة التوحيد.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ﴾^(١).

واما فيما عدا هذه الحالة فهم أسر شتى، وجبهات
كثيرة متقاطعة ومختلفة.

والذي يخص بحثنا في مضامين الزيارات من الولاء،
هو الولاء في البعد العمودي.

(١) الانفال (٧٣)

٢- عناصر الولاء

والولاء في البعد العمودي حزمة متناسقة من العلاقات يتألف منها الولاء، كالطيف الشمسي الذي يتألف من مجموعة متناسقة من الالوان. وقد وردت هذه العناصر التي يتألف منها الولاء جميعاً في نصوص الزيارات، ومن اهم هذه العناصر التي يتألف منها الولاء:

أ- الايمان والتصديق

وهو الشرط الاول للولاء، ويتكوّن الولاء بالأيمان والتصديق، وينتفي بانتهاء الأيمان والتصديق بشكل كامل.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١).

(١) الحديد (١٦)

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(١) .
 ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٢) .
 ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٣) .

ب- الطاعة

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾^(٤) .

ج- الحب والمودة

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا

(١) الزمر (٣٢) (٣٣)

(٢) يس (٥٢)

(٣) الزمر (٣٣)

(٤) النساء (٥٩)

وَتَجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا
أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ
فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾.

﴿قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ﴿٢﴾.
والقربى هم اهل بيت رسول الله ﷺ بلا شك ﴿٣﴾.

د- النصر

يقول تعالى ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤﴾.

(١) التوبة (٢٤)

(٢) الشورى (٢٣)

(٣) راجع دلائل الصدق ٢-١٢٠-١٢٦- ط القاهرة والغدير ٢-٣٠٦-٣١٠-

و ١٧١/٣ ط طهران

(٤) الاعراف (١٥٧)

﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لِيُؤْمِنُوا بِهِ
وَلِيُنصِرَهُ﴾ (١) .

هـ - المعية والتبعية:

التبعية في الموقف والرأي والمنطق والخطاب
والاخلاق والسلوك والحرب والسلم، وهي مقولة
اخرى غير مقولة الطاعة.

يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) .

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ﴾ (٣) .

(١) ال عمران (١٨)

(٢) الانفال (٦٤)

(٣) ال عمران (٥٣)

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(١).

و- السلام

وهو في مقابل المشاكسة والشقاق، والعناد،
واللجاج، والخلاف، والمكر، والكيد، والبغضاء،
والحرب، وهو افق واسع في العلاقة لا يسعنا الدخول
فيه الآن و من أعظم مقومات الولاء.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْخُلُوا فِي السَّلْمِ
كَأَفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُّبِينٌ﴾^(٢).

ويقول تعالى في الذين يشاققون الله ورسوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ
تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٣).

(١) يوسف (١٠٨)

(٢) البقرة (٢٠٨)

(٣) البقرة (٢٧٩)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١).

ز- النصيحة

وهو أن يصفّي الانسان علاقته بالله ورسوله وأوليائه
من كل غش، وسوء، وكذب، وشقاق، ويخلص لهم
الرأي والعمل عن كل ما يشوب الآراء والمواقف
والاعمال من الذات والهوى.

روي الصدوق في الخصال عن الامام الصادق عليه السلام
قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس في حجة الوداع
بمنى في مسجد الحنيف: فحمد الله وأثنى عليه، ثم
قال نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلّغها من
لم يسمعها. فربّ حامل فقه الى من هو افقه منه.

ثلاث لا يغل عليهن قلب امرء مسلم

١- إخلاص العمل لله.

(١) الانفال (١٣)

٢- والنصيحة لائمة المسلمين.

٣- واللزوم بجماعتهم

فان دعوتهم محيط بهم. (والمسلمون اخوة تتكافأ
دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من
سواهم)^(١).

هذا على الاجمال والاختصار اهم عناصر الولاء
ومكوناته.

٣- نسيج الولاء

وإنما أحكم الله الولاء، في هذه الامة الشاهدة بهذه
الصورة المحكمة، لأن الله تعالى أناط بهذه الأمة
مسؤولية رسالة التوحيد، وحملها الى الناس جميعاً
والدفاع عنها.

وهذه الرسالة تُحمّل الامة مواجهات وتحديات
شرسة وصعبة، ولكي تنهض بمقابلة هذه

(١) بحار الانوار ٢٧، ٦٨

المواجهات والتحديات لابد أن يكون نسيجها نسيجاً قوياً مقاوماً يقاوم كل هذه التحديات، كما يقول تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾^(١).

وهذا النسيج هو الذي يؤهلها لتؤدي دورها الحركي في إبلاغ رسالة التوحيد والولاء، وتعبيد الناس لشريعة الله ودينه، ولولا هذا النسيج المحكم المقاوم لم تتمكن هذه الامة من أداء هذا الدور العظيم.

ان هذا النسيج يجب ان ينهض بمقابلة التحديات والفتن الكبيرة التي يثيرها في مواجهته في كل وقت انظمة الكفر والاستكبار العالمي، لإعاقة المشروع الالهي العظيم لهذا الدين، في اقامة التوحيد والعدل وإزاله الظلم، وفي تعبيد الانسان لله.

ومهمة الفتن والتحديات التي تثيرها أنظمة الاستكبار والكفر العالمي هي أعاقه هذا المشروع وتعطيله.

(١) الصف (٤)

ولولا أن ينهض هذا الدين بمقاومة هذه الفتن والتحديات لسقط دوره نهائياً في حياة الانسان.
يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾^(١).

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ﴾^(٢).

والشرط الثاني في الآيتين تأتي كالنتيجة للشرط الاول، وهو (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة).

إنّ مهمة انظمة الاستكبار العالمي هي إثارة الفتن في وجه هذا الدين باستمرار، وبشكل متصل، ومهما اختلفوا في شيء، فيما بينهم، فانهم يتضامنون على هذه النقطة.

والذي ينظر الى التوافق الدائم بين الصهيونية والعالمية والصليبية العالمية في اوربا وامريكا في

(١) البقرة (١٩٣)

(٢) الانفال (٣٩)

مواجهة الاسلام يطمئن الى هذه الحقيقة التي
يذكرها القرآن ويكررها.

ومهمة هذه الفتن هي إعاقة المشروع العالمي لهذا
الدين في ترسيخ التوحيد والعدل وإزالة الظلم
والشرك وتعبيد الناس الى الله.

يقول تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ
عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾^(١).

ومواجهة هذا التحدي الشرس العريض، ليس دائماً
بالموعظة والنصيحة ومؤتمرات الحوار بين الأديان
(ونحن لا نرفضها)، ولكن بمواجهة التحدي بمثله،
وهو قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾^(٢).

(١) البقرة (٢١٧)

(٢) البقرة (١٩٠)

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾^(١).

ولكي تؤدي الأمة الشاهدة هذا الدور الحضاري-
الحركي العظيم، لا بد لها من نسيج محكم مقاوم
مثل هذا النسيج المرصوص ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرَّصُونَ﴾^(٢).

٤- توثيق الولاء

يقع الولاء بين عهد العبد لله تعالى بالطاعة والعبودية،
وفائه لهذا العهد ... وهذا العهد والوفاء هو الميثاق.
ويقع الولاء لله والرسول ﷺ ولأولياء الامر من بعد
رسول الله ﷺ في دائرة الميثاق الكبير.
واوضح آية في كتاب الله عن هذا الميثاق هي الآية
١٧٢-١٧٣ من سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن

(١) التوبة (٣٦)

(٢) الصف (٤)

بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ:

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟

قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا.

أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٤١﴾

وهذه الآية الكريمة تتضمن أهم عناصر الميثاق بين
الله وعباده: وهو الاقرار بالربوبية، والعهد والإشهاد،
والتحذير.

واليك شرح ذلك.

١_٢- الاقرار والعهد:

فان الله تعالى يأخذ من عباده الاقرار والعهد له تعالى
بالربوبية وهو قوله تعالى: الست بربكم؟

٣_٤- فيقر له عباده بالربوبية ويتعهدون له تعالى بها،
وهو قوله تعالى (قالوا: بلى)

٥_٦- ويتضمن هذا الاقرار والعهد إقراراً بالطاعة
وعهداً بها بالضرورة.

فان الاقرار بالربوبية لله تعالى يتضمن إقرار العبد على نفسه بالعبودية بالضرورة، فلا ينفك احدهما عن الآخر والتعهد به.

وهذا الاقرار والعهد يتعلقان بقضية تكوينية خالصة، وهي الربوبية والعبودية.

ولهذه القضية التكوينية (الربوبية والعبودية) وجه اخر، لا ينفك عنه، وهو الطاعة.

وهذا هو الوجه التشريعي للوجه التكويني من القضية المتقدمة.

فان الاقرار بين الله وعباده بعلاقة الربوبية والعبودية يتضمن اقراراً من العبد لله تعالى بالطاعة فيما يأمره به تعالى وينهاه.

فلا يمكن ان ينفك هذا الوجه التشريعي عن الوجه التكويني في هذه القضية فهذا إذن، اقراران وعهدان.

اقرار وعهد بالربوبية لله تعالى وللعبد بالعبودية.

واقرار وعهد لله تعالى بالطاعة المطلقة من ناحية العبد وحق الله تعالى في الحاكمية والسيادة على عباده.

٧- ويلى ذلك اشهاد من الله تعالى لعباده على ذلك وشهادة العباد لله تعالى عليه وهو قوله تعالى (الست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا) ويجري كل هذا الاقرار والعهد والاشهاد في عمق فطرة الانسان.

ولا بد ان يمر على كل انسان، مهما كان ومهما آل اليه أمره، وقت يقر لله تعالى بكل ذلك ويتعهد به، ويشهد على ذلك في عمق فطرته، وفي ومضات الفطرة التي تخترق ظلمات الشك والريب اكثر من مرة في حياة كل انسان، مهما بلغ من العناد واللجاج، ويكون بديلة ذلك غالباً في بواكير عمر الانسان، ثم تشع ذلك او تطمره السيئات والشبهات.

٨- ويلى ذلك التحذير من جانب الله تعالى ان يعودوا من ومضات الفطرة الى متاهات الشك

والجهل مرة اخرى، ثم يعتذروا يوم القيامة لله تعالى
عن ذلك بالغفلة.

فان فطرتهم تشهد عليهم يوم القيامة بهذه الومضات
التي كانت تبدد من حولهم كل شك وريب.
وهو قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ
هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١).

وهكذا يتقرر العهد بين الله تعالى وعباده في هذا
الميثاق الكبير الذي يشمل كل حياة الانسان
وحر كاته وسكناته.

في هذا الميثاق يقبل العبد ولاية الله تعالى وسيادته
المطلقة عليه وولاية رسوله ﷺ وخلفائه في
الولاية عليه بشكل مطلق.

(١) الاعراف (١٧٢)

٥- قيمة الولاء

عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال: «بني الاسلام على خمسة اشياء، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية».

قال زرارة راوى الحديث، فقلت: واي شيء من ذلك افضل؟ قال: الولاية افضل لأنها مفاتحهن، والوالي هو الدليل عليهن.

ثم قال: ذروة الأمر وسنانه ومفتاحه وباب الاشياء ورضى الرحمان الطاعة للامام بعد معرفته. إن الله عز وجل يقول ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (١). (٢).

(١) النساء (٨٠)

(٢) اصول الكافي ٨/٢ وبحار الانوار ٣٣٠/٦٨

وعن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله (ما نظر الله عز وجل الى ولي له يجهد نفسه بالطاعة ولا مامه بالنصيحة الا كان معنا في الرفيق الاعلى)^(١) .

وعن ابي عبد الله الصادق عليه السلام : من فارق الجماعة ونكث صفقة الامام جاء الى الله عز وجل اجذم)^(٢) .

وعن ابن ابي ليلى عن ابي عبد الله عليه السلام : وصل الله طاعة ولي الأمر بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولي الأمر لم يطع الله ولا رسوله)^(٣) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : اسمعوا واطيعوا لمن ولاه الله الأمر، فانه نظام الاسلام)^(٤) .

(١) اصول الكافي ٤٠٤/١

(٢) اصول الكافي ٤٠٥/١

(٣) اصول الكافي ١٨١/١

(٤) الامالي ص ١٤ المجلس الثاني ح ٢

الحالة الحركية للأمة

إن لهذا الاهتمام والتأكيد على الولاية في هذا الدين سرّاً. وذلك إن الأمة إذا انتظم عقدها بالولاية والطاعة لله ولرسوله ولخلفاء رسول الله الذي عينهم الله تعالى أئمة للمسلمين تقوى على مواجهة التحديات والفتن الصعبة وازالة العقبات عن طريق هذا الدين الى قلوب الناس وعقولهم وتعبيد الناس لله، ومقاومة الطغاة والجبابرة الذين لا يزالون يواجهون هذا الدين بالفتن والتحديات، وهو ما نسميه اليوم في أدبياتنا المعاصرة بالحالة (الحركية).

إنّ الحالة الحركية في الاسلام رهن الوعي والطاعة. والطاعة الواعية لمن جعله الله تعالى اماماً للمسلمين من أهم اركان الحالة الحركية بعد الايمان والوعي والتصديق.

الأمّة

الأمّة ليس تجمعاً بشرياً تجمعهم عقيدة واحدة، وفقه واحد، وإنما الأمّة.

١- تجمع بشري يجمعهم دين واحد وعقيدة واحدة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١). ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

(١) ال عمران (١٩)

(٢) ال عمران (٨٥)

(٣) ال عمران (٨٤)

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ
أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(١).

٢- ثم العلاقة العضوية بين اعضاء الامة الكبيرة،
وكانهم أعضاء من جسم واحد.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٢).
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣).

ويوضح الأمام الحسن العسكري عليه السلام الأخوة
الإيمانية في هذه الآية في رسالة له الى اهل (آبه)
بهذه الكلمة الرقيقة الشفافة: (المؤمن اخو المؤمن
لامه واياه)^(٤).

(١) الشورى (١٣)

(٢) التوبة (٧١)

(٣) الحجرات (١٠)

(٤) بحار الانوار ٣١٧/٥٠

وعن رسول الله ﷺ (المؤمنون اخوة تتكافأ
دمائهم، وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم
ادناهم)^(١).

وعن الامام الصادق عليه السلام: (المؤمن اخو المؤمن
كالجسد الواحد، اذا اشتكى منه عضو، وجد ألم
ذلك في سائر جسده)^(٢).

٣- ثم الولاية والطاعة

الولاية في الخط النازل من الله ورسوله وخلفائه الى
جمهور المسلمين.

يقول تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ﴾^(٣).

(١) امالي المفيد ١١٠

(٢) بحار الانوار ٢٦٨/٧٤

(٣) المائدة (٥٥)

وقد قلنا من قبل أن المقصود ب﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾
هو الموقع الثالث للولاية في هذه الآية وهو الامام
علي بن ابي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لتضافر
الروايات من الفريقين على ذلك.

والطاعة هو الخط الصاعد من جمهور المسلمين الى
الله ورسوله صلى الله عليه وآله وخلفائه من اهل بيته عليهم السلام .

يقول تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ﴾^(١) .

والطاعة في هذه الآية ليست في ثوابت الشريعة
والدين كالصلاة والصوم والحج، لأنها تدخل في
طاعة الله، حتى لو كان البلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وإنما طاعة رسول الله وأولياء الامور في منطقة
الفرغ التي يتولى أولياء الامور تنظيم حياة الناس
السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية

(١) النساء (٥٩)

والأمنية فيها بما تتطلبه الضرورة والمصلحة... ولذلك
تكرر ذكر الطاعة في الآية الكريمة ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾^(١).

وهذه الطاعة الاخيرة هي طاعة الولاء، وهي من
مقومات (الأمة) ومن دون وجود الطاعة المشروعة
والواجبة، لا تقوم للأمة قائمة.

كما أن هذه الطاعة هي التي تؤهل الأمة لمواجهة
التحديات والفتن الصعبة، وتمكنها من أداء رسالة
هذا الدين على وجه الارض في ازالة التحديات
والفتن، وتعبيد الناس لله وترسيخ توحيد الله على
وجه الارض، وتمكين الاسلام من حياة الناس.

(١) النساء (٥٩)

٦ - الوجه الآخر للولاء

الوجه الآخر للولاء هو (البراءة) وهو الوجه الصعب من هذين الوجهين، وهما لا ينفكان عن بعض ولا يمكن فصل احدهما عن الآخر.

وتحمل البراءة معنى (المفاصلة) و(المقاطعة)، في مقابل الولاء الذي يحمل معنى (المواصلة) و(المطاوعة) و(المناصرة) و(الموادّة).

يقول تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾^(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾^(٢).

(١) الممتحنة (٤)

(٢) التحريم (٩)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى
أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ
مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ
مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
رَبِّكُمْ﴾^(٢).

هذه المفصلة والمقاطعة (البراءة) جزء لا يتجزأ من
هذا الدين، وهو كما ذكرنا الوجه الآخر للولاء، ولا
نفهم الولاء فهما واعياً حركياً إلا إذا ضمنا إليه
وجهه الآخر... ومن دونه يكون الولاء ضحلاً ناقصاً.
قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: (إني أحبك وأحب
خصومك).

وهذا هو الولاء الناقص الضحل الذي تحدثنا عنه.

(١) المائدة (٥١)

(٢) الممتحنة (١)

فقال له الأمام: (أما الآن فانت أعور)
ورؤية الاعور رؤية نصفية غير كاملة ثم قال: (فإِ ما
أن تعمى او تبصر) تفقد الولاء والبراءة، او يرزقكهما
الله جميعاً.

رضوان الله على «زهير» قام يوم عاشوراء بين
الصفين ونادى معسكر الشام بهذا النداء الذي ملؤه
الوعي والبصيرة، وهو ممن آتاه الله كل ذلك.

(إنّ حقاً على المسلم نصيحة اخيه المسلم. نحن
حتى الآن إخوة على دين واحد وملة واحدة، ما لم
يقع بيننا وبينكم السيف فاذا وقع السيف انقطعت
العصمة، وكنا أمة وكنتم أمة)^(١).

وهذا الذي يذكره زهير «رضوان الله عليه» اذا قام
السيف بينهم هو (البراءة)، واذا اقامت البراءة
انقطعت العصمة، فلا يكون لهم ما يكون لسائر
المسلمين من عصمة الدماء والاموال.

(١) ابصار العين للماوي ص ٩٨

٧- ضريبة الولاء

وكما عرفنا قيمة الولاء قبل هذا، فلا بد من أن نعرف ضريبة الولاء.

إنَّ ضريبة الولاء ضريبة باهضة ولا يتحمل الناس ضريبة في امور دينهم، كما يتحملون ضريبة الولاء...

وقد دفع شيعة أهل البيت عليهم السلام ضريبة ولائهم لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وثباتهم عليها، اقصى ما تكون المعاناة، والعذاب، والعقوبة، والمطاردة، في عهد بني أمية وبني العباس.

يقول الأمام ابو جعفر الباقر عليه السلام فيما لاقاه شيعتهم من ألوان العذاب والاضطهاد على يد طغاة بني أمية:

(ثم لم نزل _اهل البيت_ نستذل ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم، ونقتل، ونخاف، ولا نأمن على دمائنا ودماء اوليائنا. ووجد الكاذبون الجاحدون كذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به الى اوليائهم،

وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة. فحدثوهم
بالاحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا مالم
نقله ومالم نفعله ليبغضونا الى الناس).

وكان عظم ذلك وكبره في زمن معاوية بعد موت
الأمام الحسن عليه السلام.

فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الايدي والارجل
على الظنة. وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع الينا
سجن او نهب ماله، أو هدمت داره.

ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمن عبيد الله بن
زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج، فقتلهم
كل قتلة، وأخذهم بكل ظنه وتهمه، حتى أن الرجل
ليقال له: زنديق او كافر أحب اليه من ان يقال له
شييعي^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٤٤/١١ وروى النص عمر ابن ابي

الحديد المجلسي في بحار الانوار ٦٩،٦٨،٤٤

ثم لم تنزل حلقات هذا البلاء والعذاب والمطاراة والقتل والسجن والتعذيب تتواصل على شيعة أهل البيت عليهم السلام زمن بني العباس، ولم يزل يلاحق حكام بني العباس وجلّوزتهم شيعة أهل البيت عليهم السلام وكان عظم ذلك وكبره في عهد المنصور وهارون والمتوكل.

٨ - فضيلة الولاء

وإذا تحدثنا عن ضريبة الولاء، فلا بد أن نتحدث عن (قيمة الولاء) (وفضيلة الولاء عند الله) اما قيمة الولاء فقد تحدثنا عنها، فلا نعيد، واما فضيلة الولاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، عند الله فسوف نقدم فيما يلي أضبارة من الآيات والاحاديث عنها ونترك التفصيل للدراسات الموسعة في هذا الحقل.

شيعة علي عليه السلام هم الفائزون

روى السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(١).

قال أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال كنا عند النبي صلى الله عليه وآله ، فاقبل: علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده: إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة. ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إذا قبل علي عليه السلام قالوا: جاء خير البرية.

ورواها العلامة عبد الرؤوف المناوي في (كنوز الحقائق ٨٢) ولفظها (شيعة علي هم الفائزون) قال: واخرجه الديلمي.

(١) البينة (٧)

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب المناقب،
مناقب علي بن ابي طالب ١٣١/٩
عن علي عليه السلام قال: (إن خليلي صلى الله عليه وآله قال: يا علي انك
ستقدم على الله وشيعتك راضيين مرضيين، ويقدم
عليه عدوك غضاباً مقمحين).... رواه الطبراني في
الأوسط.

وروى ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ٩٦.
قال وأخرج الديلمي قال النبي صلى الله عليه وآله: يا علي إن الله
قد غفر لك ولذريتك وولدك ولأهلك وشيعتك
ولمحيي شيعتك فأبشر^(١).
وعن أيوب السجستاني عن ابي قلابة قال: قالت أم
سلمه (رض) سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول شيعة
علي هم الفائزون يوم القيامة^(٢).

(١) فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج ٢ ص ١١٧-١١٨.

(٢) إشارة المصطفى ١٩٧.

علي وشيعته خير البرية:

وروى ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عن أبي الجارود عن محمد بن علي في تفسير قوله تعالى (أولئك هم خير البرية) قال النبي ﷺ: أنت يا علي وشيعتك^(١).

وأخرجه السيوطي في الدر المنثور عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

وقال أيضاً أخرجه ابن عدي عن ابن عباس: قال لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله ﷺ لعلي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين^(٢).

وقال أيضاً أخرج ابن مردية عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: ألم تسمع قول الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ

(١) تفسير الطبري ج ٣٠ ص ١٧١ تفسير سورة البينة.

(٢) الدر المنثور للسيوطي تفسير سورة البينة.

الْبُرْيَّةِ؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدك الحوض. إذا جاءت الأمم للحساب، تدعون غرماً وتجلسون.

وقال ابن حجر في (الصواعق المحرقة):

الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبُرْيَةِ﴾ قال: أخرج جمال الدين الزرندي عن ابن عباس: إن هذه الآية لما نزلت قال ﷺ لعلي عليه السلام هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضيين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مقحمين^(١).

وذكره الشبلنجي في (نور الأبصار)^(٢).

(١) الصواعق المحرقة ص ٩٦.

(٢) نور الابصار ج ٧ ص ٧٠، ١١٠ نقلنا الروايات عن فضائل الخمسة في الصحاح الستة للقروابادي ج ١ ص ٣٢٨-٣٢٩ ط مجمع أهل البيت.

من هم الرافضة؟

قيل للصادق عليه السلام: أن عماراً الدهني شهد اليوم عند ابن أبي ليلى قاضي الكوفة بشهادة، فقال له القاضي قم يا عمار، فقد عرفناك، ولا تقبل شهادتك لأنك رافضي، فقام عمار، وقد ارتعدت فرائضه، وأستغرقه البكاء.

فقال له ابن أبي ليلى أنت رجل من أهل العلم والحديث، إن كان يسوؤك إن يقال لك رافضي فتبرأ من الرفض فأنت من إخواننا، فقال له عمار، يا هذا ما ذهبت والله حيث ذهبت، ولكن بكيت عليك وعلي،

أما بكائي على نفسي فأنك نسبتني إلى رتبة شريفة لست من أهلها زعمت إنني رافضي. ويحك لقد حدثني الصادق عليه السلام: إن أول من سمي الرافضة

السحرة الذين لما شاهدوا آية موسى في عصاه آمنوا به وأتبعوه، ورفضوا أمر فرعون، واستسلموا لكل ما نزل بهم، فسامهم فرعون الرفضة لما رفضوا دينه، فالرافضي كل من رفض جميع ما كره الله، وفعل كل ما أمر الله، فأين في هذا الزمان مثل هذا؟ وان ما بكيت على نفسي خشيت أن يطلع الله عز وجل على قلبي وقد تلقيت هذا الاسم الشريف على نفسي فيعاتبني ربي عز وجل ويقول:

يا عمّار أكنت رافضاً للأباطيل، عاملاً بالطاعات كمات قال لك؟ فيكون ذلك بي مقصراً في الدرجات إن سامحني، وموجباً لشديد العقاب عليّ إن ناقشني، إلا أن يتداركني موالي بشفاعتهم. وأما بكائي عليك فلعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي وشفقتي عليك من عذاب الله أن صرفت أشرف

الأسماء إلي، وان جعلته من أرذلها كيف تصير
بدنك على عذاب كلمتك هذه؟
فقال الصادق عليه السلام: عن كلمة عمّار إنها لتزيد في
حسانته عند ربه عز وجل حتى يجعل كل خردلة
منها أعظم من الدنيا ألف مرة^(١).

المؤمنون يزهبون لأهل الجنة كما تزدهر السماء بالنجوم

وعن أمير المؤمنين عليه السلام إن أهل الجنة لينظرون الى
شعتنا كما ينظر الإنسان إلى الكواكب في السماء^(٢).
وعن الإمام الصادق عليه السلام: (إن المؤمن ليزهر نوره
لأهل السماء كما تزهر نجوم السماء لأهل
الأرض)^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٨ عن خصال الصدوق ١٦٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٢٤٣ عن أصول الكافي ج ٢ ص ١٧٠.

وعن موسى بن جعفر عليه السلام كان قوم من خواص
الأمام الصادق عليه السلام جلوساً بحضرته في ليلة مقمرة
مصحية فقالوا يا بن رسول الله: ما أحسن أديم هذه
السماء، وأنوار هذه النجوم والكواكب، فقال
الصادق عليه السلام إنكم لتقولون هذا وإن المدبرات
الاربعة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت
ينظرون الى اهل الارض، فيرونكم وإخوانكم في
أقطار الأرض ونوركم الى السماوات وإليهم أحسن
من نور هذه الكواكب، وأنهم ليقولون، كما يقولون:
ما أحسن أنوار هؤلاء المؤمنين ^(١).

ينظرون بنور الله

عن ابن ابي نجران قال سمعت أبا الحسن عليه السلام
يقول: من عادى شيعتنا، فقد عادانا، ومن والا هم فقد

(١) بحار الانوار ج ٧٤ ص ٢٤٣ عن عيون أخبار الرضا ٢/٢.

والانا، لانهم منا، خلقوا من طينتنا. من أحبهم فهو منا
ومن أبغضهم فليس منا. شيعتنا ينظرون بنور الله،
ويتقلبون في رحمة الله، ويفوزون بكرامة الله، وما
من أحد من شيعتنا أغتم إلا اغتمنا لغمه ولا يفرح
إلا فرحنا لفرحه^(١).

أهل البيت عليهم السلام يحبون شيعتهم:

وكما يحب شيعة أهل البيت عليهم السلام أهل البيت عليهم السلام
كذلك يحب أهل البيت شيعتهم حباً جماً، حتى أنهم
يحبون ريحهم وأرواحهم، ويحبون رؤيتهم
وزيارتهم، ويشتاقون إليهم، كما يشتاق المتحابون
بعضهم الى البعض. وهو أمر طبيعي، فأن الحب من

(١) بحار الانوار ج ٦٨ ص ١٦٧ ح ٢٥ عن صفات الشيعة ١٦٣.

المقولات المتبادلة، ولا يكون الحب الصادق في طرف إلا وكان مثله في الطرف الآخر.

عن إسحاق بن عمار عن علي بن عبد العزيز. قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: والله أني لأحب ريحكم وأرواحكم ورؤيتكم وزيارتكم، وأنني لعلی دين الله ودين الملائكة فأعينوا على ذلك بورع. أنا في المدينة بمنزلة الشعير. أتقلقل حتى أرى الرجل منكم فأستريح إليه ^(١).

قوله: بمنزلة الشعير أو الشعيرة، يعني كالشعرة البيضاء في الشعر الأسود قليل، فأراكم في المدينة، فأستريح اليكم.

(١) المحاسن ص ١٦٣ بحار الانوار ج ٦٨ ص ٢٨.

وعن عبد الله بن الوليد، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول، ونحن جماعة: (والله أني لأحب رؤيتكم، وأشتاق إلى حديثكم)^(١).

وعن نصر بن مزاحم عن محمد بن عمران بن عبد الله عن أبيه عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: دخل ابي المسجد، فاذا هو بأناس من شيعتنا فدنا منهم فسلم ثم قال لهم: والله اني لأحب ريحكم وأرواحكم، وإني لعلى دين الله. وما بين أحدكم وبين أن يغتبط بما فيه إلا ان تبلغ نفسه ها هنا، وأشار بيده الى حنجرته، فأعينوني بورع واجتهاد. ومن يأت منكم بإمام فليعمل به. أنتم أعوان الله، وانتم انصار الله^(٢).

وعن محمد بن عمران عن ابيه عن ابي عبد الله عليه السلام قال: خرجت أنا وأبي ذات يوم الى المسجد، فإذا هو

(١) بحار الانوار ج ٦٨ ص ٢٩.

(٢) بحار الانوار ج ٦٨ ص ٤٣-٤٤ بشارة المصطفى ١٦.

بأناس من أصحابه بين القبر والمنبر. قال فدنا منهم
وسلم عليهم وقال والله أني لأحب ربحكم
وأرواحكم فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد^(١).

ونستوقف الأنسان في هذا الحديث كلمتان:

الاولى: (أنى لأحب ربحكم وأرواحكم) والثانية
(فأعينوني بورع واجتهاد) الأولى تعبر عن أعلى
مراتب الحب والشوق، حتى كأنهم يستنشقون من
شيعتهم روائح الجنة ونكهتها.

ولست أعرف تعبيراً أبلغ وأكثر شفافية في الحب من
هذا التعبير.

والثانية تحدد ضوابط هذا الحب. فأن هذا الحب
يختلف عن حب الناس بعضهم لبعض، وإنما يدخل
في امتداد الحب لله، وهو من اقوى درجات الحب،

(١) بحار الانوار ج ٦٥/٦٨ ح ١٨٨.

ولكنه يخضع لمقاييس دقيقة في الطاعة والعبودية والورع والتقوى. ويتعاضم هذا الحب بتصاعد درجات الورع والتقوى وتعاضم الطاعة، فيطلب من شيعته ان يعينوه في حبه لشيعته بالورع والتقوى والطاعة والعبودية لله.

إن هؤلاء الناس من شيعتهم، وأهل البيت عليهم السلام يعرفون مدى حب شيعتهم لهم، ويحبون أن يبادلوهم هذا الحب بحب مثله او اقوى منه، فيطلبون منهم أن يؤهّلوا انفسهم لهذا الحب. وهذا التأهيل يتم بالورع والتقوى والطاعة والعبودية لله، عندئذ يكون حبهم لشيعتهم في إمتداد حب الله تعالى.

ومثلهم في ذلك مثل الوالد الذي يحب ابنه، ويجب أن يكون ابنه اهلاً لهذا الحب في أدبه واخلاقه

وسلوكه، ولا يفعل ما يرغم أباه أن ينتزع حبه من قلبه، ويعقه.

من عادى شيعتهم عاداهم ومن والى شيعتهم والاهم:

وكما الحب والبغض من المقولات المتبادلة فلا يصدق طرف في حبه لطرف آخر إلا أن يكون في نفس الطرف الآخر من الحب مثلما في نفس الطرف الأول، كذلك الولاء والبراءة من مقولات التبادل، فكما نعادي اعداء أهل البيت عليهم السلام ونكرهم ونوالي أوليائهم ونحبهم، كذلك يعادي أهل البيت عليهم السلام من يعادينا ويوالون من يوالينا.

عن ابن ابي نجران: سمعت ابا الحسن عليه السلام كان يقول من عادى شيعتنا فقد عادانا، ومن والاهم فقد والانا، لأنهم منا، خلقوا من طينتنا. من أحبهم فهو

منا، ومن ابغضهم فليس منا، شيعتنا ينظرون بنور الله،
ويتقبلون في رحمة الله، ويفوزون بكرامة الله^(١).

عن ابي الحسن عليه السلام يقول من عادى شيعتنا فقد
عادانا، ومن والاهم فقد والانا، لانهم منا خلقوا من
طينتنا، ومن أحبهم فهو منا، ومن أبغضهم فليس منا،
شيعتنا ينظرون بنور الله، ويتقبلون في رحمة الله،
وفوزون بكرامة الله، ما من أحد من شيعتنا يمرض
إلا مرضنا لمرضه، ولا إغتم إلا إغتمنا لغمه، ولا
يفرح الا فرحنا لفرحه، ولا يغيب عنا أحد من شيعتنا
أين كان في شرق الأرض أو غربها وترك ديناً فهو
علينا، ومن ترك منهم مالاً فهو لورثته.

شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة،
ويحجون البيت الحرام، ويصومون شهر رمضان،
ويوالون أهل البيت، ويتبرءون من أعدائهم، أولئك
أهل الايمان والتقوى، وأهل الورع والتقوى، من رد

(١) بحار الانوار ج ٦٨ ص ١٦٨.

عليهم فقد رد على الله، ومن طعن عليهم فقد طعن على الله، لأنهم عباد الله حقاً، وأوليائه صدقاً، والله إن أحدهم يشفع في مثل ربيعة ومضر، فيشفعه الله فيهم لكرامته على الله عز وجل^(١).

الحقوق المتبادلة بين أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم:

وليس فقط يبادل أهل البيت عليهم السلام شيعتهم في الحب والولاء لهم ولأوليائهم، وفي البغض والبراءة لأعدائهم، وإنما يبادلونهم في الحقوق أيضاً، فكما إن لأهل البيت عليهم السلام حقوق على شيعتهم في الحب والمودة والطاعة والورع والتقوى وذكر الله والعبودية لله... كذلك لشيعتهم عليهم حقوق.

روى أبو قتادة عن ابي عبد الله عليه السلام قال: حقوق شيعتنا علينا أوجب من حقوقنا عليهم. قيل: وكيف

(١) بحار الانوار ج ٦٨ ص ١٦٨ عن صفات الشيعة ١٦٣.

ذلك يأبى رسول الله فقال: لأنهم يصابون فينا ولا نصاب فيهم^(١).

وبعد هذه الدراسة الموجزة عن الولاء نتقل الآن، ان شاء الله الى الافكار والثقافات والقيم الولائية والحركية المبتوثة بصورة واسعة في نصوص الزيارات، واليك أضرابا هذا البحث.

نصوص الزيارات في دائرة الولاء والبراءة

لقضية الولاء والبراءة مساحة واسعة من نصوص الزيارات المرويّة عن أهل البيت (عليهم السلام)، و أقصد بالولاء والبراءة مسألة الإمامة والولاية بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهي ذات صلة وثيقة بما جرى على المسلمين في أيام بني أمية و بني العباس و بعدهما من انحراف عن خط الإسلام الأصيل و فكره وثقافته.

(١) بحار الانوار ج ٦٨ ص ٢٤ عن أمالي الطوسي ج ١ ص ٣٦٣.

فقد تولّى السلطة في عصور الحكم الاسلامى ناسٌ غير مأمونين على الإسلام و المسلمين وعلى ثروات المسلمين؛ فأضروا بالإسلام و المسلمين كثيراً، و كان منهج أهل البيت (عليهم السلام) مقاومة و معارضة الحكومتين المعاصرتين لهم.

و هذه المعارضة و الرفض و المقاومة السياسية لنظامين قويين ظالمين مسرفين مثل الحكم الأموي و العباسي تركت آثاراً واضحة في أدب التشيع و ثقافته و فكره و عُرف الشيعة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) منذ ذلك الحين بـ «الرافضة».

و اتخذ الفكر السياسي الشيعي و الأدب السياسي الشيعي لون الرفض منذ أن استلم معاوية الخليفة عصر الإمام الحسن (عليه السلام) بوسائله و أساليبه المعروفة الى سقوط دولة بني العباس.

و ينعكس هذا الصراع السياسي و المعارضة السياسية و الرفض على نصوص الزيارات المروية

عن أهل البيت (عليهم السلام) بشكل واضح و بشكل خاص على زيارة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) و الإمام الحسين (عليه السلام) لأن فترة هذين الإمامين كانت أشدّ الفترات في تاريخ الاسلام في المواجهة و الصراع.

ولعلّ ذلك هو السبب في تعدد الزيارات الواردة للإمام أمير المؤمنين و إبنه الحسين (عليه السلام) و إختلافها بفارق كمّي و كيفي عن زيارة سائر الأئمة (عليهم السلام).

و تتلخص القضية السياسية في هذه الزيارات كما قلنا في الشهادة و الموقف، و الأولى من شأن القضاء و الثانية من شأن السياسة.
و الموقف يأتي بعد الشهادة.

فإن الموقف السياسي في كل صراع و إختلاف يتقرر في دائرة القضاء، بين فريقَي الصراع، و

عندئذ، و في ضوء الحكم الذي يقرره القضاء يتقرر
الموقف السياسي.

و أعدل القضاء ضمير الإنسان الذي أودعه الله
تعالى في فطرته.

وفي هذه المحكمة الإلهية يشهد الزائر لاهل
البيت (عليهم السلام) بأن الحق لهم و معهم و يشهد
على خصومهم و معارضيتهم بالزيغ عن الحق و الميل
الى الباطل و الإنحراف في ساحة الصراع و
المواجهة.

ثم انطلاقاً من هذه الشهادة... يتخذ الزائر
الموقف السياسي من الفريقين المتصارعين معاً
بالولاء و البراءة و الإنتماء و الرفض، و السلام، و
الصلاة، و اللعن.

وسنعرض الآن نصوصاً من الزيارات المروية
عن أهل البيت (عليهم السلام) في كل من الشهادة و
الموقف:

أ. الشهادة :

الشهادة بالرسالة في المرحلة الأولى من الصراع:

الصراع كما قال عمّار - رحمه الله -

والصراع صراعان و ليس صراعاً واحداً؛ صراع على التنزيل كما كان في بدر و أحد، و صراع على التأويل، كما كان في الجمل و صفّين و نهروان و الطف، و كلّ من هذين الصراعين قائم الآن، و لهما إمتداد في حياتنا المعاصرة.

نقرأ في زيارة رسول الله (صلى الله عليه

وآله) عن الصراع الأول: «أشهد يا رسول الله مع كلّ شاهد، و اتحمّلها عن كلّ جاحد، أنّك قد بلغت رسالات ربّك، و نصحت لأمتك، و جاهدت في سبيل ربّك، و صدعت بأمّره، و احتملت الأذى في جنبه،

وَدَعَوْتُ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ الْجَمِيلَةِ، وَأَدَيْتَ الْحَقَّ الَّذِي كَانَ
عَلَيْكَ، وَأَنَّكَ قَدْ رُوِّفْتَ بِالْمُؤْمِنِينَ،
وَعَظَّمْتَ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَعَبَدْتَ اللَّهَ
مُخْلِصًا حَتَّى آتَاكَ الْيَقِينَ، فَبَلَغَ اللَّهُ بِكَ
أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمَكْرَمِينَ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ
الْمُقَرَّبِينَ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ، حَيْثُ
لَا يَلْحَقُكَ لَاحِقٌ، وَلَا يَفُوقُكَ فَائِقٌ، وَلَا
يَسْبِقُكَ سَابِقٌ، وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِكَ طَامِعٌ»

و فِي زِيَارَةِ قُبُورِ شُهَدَاءِ أَحَدٍ: « وَأَشْهَدُ
أَنَّكُمْ قَدْ جَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ،
وَذَبَبْتُمْ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَعَنْ نَبِيِّهِ، وَجَدْتُمْ
بِأَنْفُسِكُمْ دُونَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ قُتِلْتُمْ عَلَى
مِنْهَاجِ رَسُولِ اللَّهِ، فَجَزَاكُمْ اللَّهُ عَنِ نَبِيِّهِ

وَعَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، وَعَرَفْنَا
وَجُوهَكُمْ فِي مَحَلِّ رِضْوَانِهِ، وَمَوْضِعِ
أَكْرَامِهِ، مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا.

الشهادة للإمام (عليه السلام) في المرحلة
الثانية من الصراع :

و هذه شهادة يسجلها الزائر في الدائرة الثانية
وهي الصراع على التأويل واليكم هذه الفقرات
من زيارة امير المؤمنين (عليه السلام) : «اللَّهُمَّ
أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ عَن رَسُولِكَ مَا حُمِّلَ،
وَرَعَى مَا اسْتُحْفِظَ، وَحَفِظَ مَا اسْتُودِعَ،
وَحَلَّلَ حَلَالِكَ، وَحَرَّمَ حَرَامَكَ، وَأَقَامَ
أَحْكَامَكَ، وَجَاهَدَ النَّكَثِينَ فِي سَبِيلِكَ،
وَالْقَاسِطِينَ فِي حُكْمِكَ، وَالْمَارِقِينَ عَن

أَمْرِكَ، صَابِرًا مُحْتَسِبًا لَا تَأْخُذُهُ فَيْكَ لَوْمَةٌ
لَائِمٌ».

في الزيارة المخصوصة بيوم المبعث النبوي
الشريف :

« كُنْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَبًا رَحِيمًا إِذْ صَارُوا
عَلَيْكَ عِيَالًا، فَحَمَلْتَ أَثْقَالَ مَا عَنْهُ ضَعْفُوا،
وَحَفَظْتَ مَا أَضَاعُوا، وَرَعَيْتَ مَا أَهْمَلُوا،
وَشَمَرْتَ إِذْ جَبَنُوا، وَعَلَوْتَ إِذْ هَلَعُوا،
وَصَبَرْتَ إِذْ جَزَعُوا، كُنْتَ عَلَى الْكَافِرِينَ
عَذَابًا صَبًّا وَغَلْظَةً وَغَيْظًا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ غِيثًا
وَخَصْبًا وَعِلْمًا، لَمْ تَفْلَلْ حُجَّتَكَ، وَلَمْ يَزِغْ
قَلْبُكَ، وَلَمْ تَضْعَفْ بَصِيرَتَكَ، وَلَمْ تَجْبِنْ
نَفْسُكَ، كُنْتَ كَالْجَبَلِ لَا تُحْرِكُهُ الْعَوَاصِفُ،
وَلَا تَزِيلُهُ الْقَوَاصِفُ، كُنْتَ كَمَا قَالَ رَسُولُ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : قَوِيًّا فِي بَدَنِكَ،
مُتَوَاضِعًا فِي نَفْسِكَ، عَظِيمًا عِنْدَ اللَّهِ، كَبِيرًا
فِي الْأَرْضِ، جَلِيلًا فِي السَّمَاءِ، لَمْ يَكُنْ
لِأَحَدٍ فِيكَ مَهْمَزٌ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيكَ مَغْمَزٌ، وَلَا
لِخَلْقٍ فِيكَ مَطْمَعٌ، وَلَا لِأَحَدٍ عِنْدَكَ هَوَادَةٌ،
يُوجَدُ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ عِنْدَكَ قَوِيًّا عَزِيزًا
حَتَّى تَأْخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ، وَالْقَوِيُّ الْعَزِيزُ عِنْدَكَ
ضَعِيفًا حَتَّى تَأْخُذَ مِنْهُ الْحَقُّ.

حلقات الصراع على التأويل في تاريخ الاسلام :

لقد كانت الحلقة الأولى من الصراع على التأويل في «صفين»، و الحلقة الثانية منها في «الطف». وفي الطف يتبلور هذا الصراع بصورة واضحة، لا لبس فيها لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد.

و في هذا الصراع وقف الحسين (عليه السلام) مع إثنين و سبعين نفرأً من أهل بيته و أصحابه و عصابة مؤمنة غابت عن الطف لسبب أو لآخر في جانب ... و يقف يزيد و آل أمية و جندهم من الشام و العراق في الجانب الآخر.

و في هذا الصراع يظهر كل من الجبهتين المتصارعتين على حقيقته و واقعه من دون لبس، فيبرز الحسين (عليه السلام) بهدى النبوة، و يظهر يزيد في كبرياء الطغاة والجبابرة و المستكبرين.

و لم يبق منذ يوم الطف الى اليوم أحد يلتبس عليه أمر هذا الصراع ، ولم يعرف فيه الحق عن

الباطل، إلا أن يكون ممن أذهب الله بنورهم، و ختم
على قلوبهم وعلى سمعهم، و جعل على أبصارهم
غشاوة.

و في دائرة هذا الصراع يسجّل الزائر
للحسين (عليه السلام) الشهادة باقامة الصلاة، و إيتاء
الزكاة، و الجهاد في سبيل الله، و يسجّل لذريّة
الحسين (عليهم السلام) من بعده بالإمامة و الولاية و
القيادة من جانب الله تعالى. فلنقرأ بعض فقرات هذه
الشهادة في زيارة الحسين (عليه السلام):

«أشهد أنك قد بلّغت عن الله ما أمرك به ولم
تخش أحداً غيره، و جاهدت في سبيله، و
عبدته، مخلصاً حتى أتاك اليقين. و أشهد أنكم
كلمة التقوى، و العروة الوثقى، و الحجّة على
من بقى. و أشهد أنك عبد الله و أمينه، بلّغت
ناصحاً و أديت أميناً، و قُلت صديقاً، و مضيت
على يقين، لم تؤثر عمى على هدى، و لم تُمل

من حق الى باطل. أشهد أنك قد أقمت الصلاة
و آتيت الزكاة و أمرت بالمعروف و نهيت عن
المنكر و اتبعت الرسول و تلوت الكتاب حق
تلاوته و دعوت الى سبيل ربك بالحكمة و
الموعظة الحسنة. اشهد انك كنت على بينة من
ربك قد بلغت ما أمرت به و قمت بحقّه،
و صدقت من قبلك غير واهن ولا موهن. أشهد
أن الجهاد معك، و أن الحق معك و إليك و
انت أهله و معدنه، و ميراث النبوة عندك».

الشهادة بالوراثة:

والإمامة التي نشهد بها في هذه الزيارة و تلك
للحسين (عليه السلام) و أبنائه من بعده ليست إمامة
مبتورة مقطوعة، و إنما تتصل حلقات هذه الإمامة
بإمامة أئمة التوحيد من قبل الحسين (عليه السلام) في

التأريخ منذ آدم (عليه السلام) و نوح و إبراهيم الى
رسول الله (عليه السلام) و علي و الحسن.
و الحسين (عليه السلام) يرث هذه الإمامة بكل
قيمها، و تراثها، و بصائرها، و تكاليفها و مسؤولياتها، و
دعوتها من إبراهيم (عليه السلام) و ذرية إبراهيم: (إِنَّ
اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ
عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ
اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).^(١)

و يتحمل مسؤوليات هذه الوراثة في الطف، و
يحمل معه الى الطف هذا الميراث الكبير ليحاجج
الناس به و يدافع عنه، و يقاتل دونه.
و هذا هو البلاغ المبين لهذه الرسالة التي ورثها
الحسين (عليه السلام) من آل إبراهيم و آل عمران.

(١) آل عمران: ٣٣ - ٣٤.

فيشهد الزائر للحسين (عليه السلام) بهذه الوراثة
في وسط المعركة الضارية، و يسجّل هنا بوضوح أن
صراع الحسين (عليه السلام) ضد يزيد ليس مفصلاً
عن صراع إبراهيم عليه السلام لنمرود، ولا عن صراع
موسى (عليه السلام) لفرعون، ولا عن صراع رسول
الله (صلى الله عليه وآله) لأبي سفيان، و صراع
علي (عليه السلام) لمعاوية هذا أولاً.

و ثانياً: أن محور هذا الصراع و روحه هو
التوحيد والعدل في كل مراحل و حلقاته.

و ثالثاً: أن الميراث الذي ورثه الحسين (عليه
السلام) من آل إبراهيم و آل عمران، و نهض به في
الطف، لم يتخل عنه من بعده ذرية الحسين (عليه
السلام) الذين ورثوا الحسين و أتباعهم و أنصارهم
من الذين ساروا على هدى آل إبراهيم و آل عمران
من المسلمين. ولنقرأ معاً هذه الفقرات الواردة في

زيارة وارث في الشهادة للحسين (عليه السلام) بوراة
الصالحين:

« السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صِفْوَةَ اللَّهِ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحِ نَبِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِسْمَاعِيلَ ذَبِيحِ اللَّهِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا وَارِثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ وَلِيِّ
اللَّهِ».

وهذه الوراثة لآل إبراهيم و آل عمران و إن كانت في سُلالة نسيبة واحدة كما يقول القرآن: (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ).^(١)

إلا أنها تقع تحت عنوان وراثة القيم والايامن والثقافة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو عنوان آخر غير عنوان الإنتساب الذري الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) و أمير المؤمنين (عليه السلام).

وأما عنوان الانتماء النسبي الى رسول الله ﷺ و علي ؑ و فاطمة (سلام الله عليها) فيأتي فيما بعد:

« السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ عَلِيِّ الْمُرتَضَى ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا بَنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
بَنَ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى ».

(١) آل عمران: ٣٤.

الشاهد والمشهود :

والعلاقة في نصوص الشهادة في الزيارات بين الشاهد والمشهود غريبة في نوعها؛ ففي هذه الشهادات يشهد الزائر للإمام عليه السلام بـ «أنك قد أقمتم الصلاة و آتيت الزكاة و أمرت بالمعروف و نهيت عن المنكر و جاهدت في سبيل الله حق جهاده».

فيكون الزائر الشاهد و المشهود له الإمام عليه السلام. و عكس ذلك صحيح أيضاً.

فإن أنبياء الله و رُسُله و أوصياءهم شهداء على الأمم و رسول الله (صلى الله عليه وآله) و أوصياؤه شهداء على هذه الأمة، يقول تعالى:

(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ).^(١)

(١) النحل: ٨٩

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَ
نَذِيرًا^(١).

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ
عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا^(٢).
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ
شُهَدَاءَ^(٣).

(فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ)^(٤).

فينقلب الزائرون من موقع الشاهد الى المشهود،
و ينقلب الذين نقصدهم بالزيارة و نشهد لهم

(١) الاحزاب: ٤٥.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) آل عمران: ١٤٠.

(٤) النساء: ٦٩.

بالصلاة و الزكاة و الأمر بالمعروف و الجهاد من

موقع المشهود له الى موقع الشاهد.

وقد ورد في نصوص الزيارات: «أنتم الصراط

الأقوم و شهداء دارالفناء و شفعاء دار البقاء».

و ورد في الزيارة الثامنة لأمير المؤمنين (عليه

السلام):

«مضيتَ للذي كنتَ عليه شهيداً و شاهداً

ومشهوداً».

أي شاهداً على الناس، ومشهوداً للأمة تشهد لك

بانك قد جاهدت في الله حق جهاده، وعملت بكتابه

واتبعت سنن نبيه، حتى دعاك الله الى جواره، وتشهد

لهم وعليهم يوم القيامة عند الله.

هذا عن الشهادة، واما الموقف:

ب. الموقف :

والشهادة تستتبع في القضاء الحكم؛

والحكم يستتبع الموقف؛

و لا بد في الموقف من الوضوح و الصراحة،
والقوة و العطاء و توطین النفس للتضحية و الفداء.

والموقف هنا من المواقف المصيرية في التاريخ
التي تقرر حركة التاريخ و تشطر الناس شطرين
مختلفين مثل صفين و الطف، لا يختص بأولئك
الذين يعاصرون الحدث فقط، وإنما يتجاوزهم الى
كل من يشارك أولئك المعاصرين للحدث في الرضا
و السخط و الحبّ و البغض.

وهذا من خصائص أيام الفرقان في التأريخ، التي
يفترق الناس فيها الى جبهتين متميزتين و يرتفع
اللبس فيها عن كل أحد، فلا يخفى فيها الحق و
الباطل على أحد من الناس، إلا أن يكون ممن ختم
الله على قلوبهم و ذهب بسمعهم و أبصارهم.

و تبقى هذه الأيام تفرّق الناس، و تشطرهم الى
شطرين بالرضا و السخط، و الحب و البغض، على

إمتداد التأريخ، و ترفض الفريق الثالث المتفرج على
الساحة، و يوم صقّين و الطف من ذلك.

إن كلّ من يُطلُّ على يوم بدر و صقّين و الطف
وهي أيام الفرقان في تاريخ الاسلام، و ينظر عن
فهم و إدراك للفريقين المتصارعين فإما أن يقف الى
جانب هذا الفريق و يدخل في هذه الجهة ، أو
يقف الى جانب الفريق الآخر و لامناص له من
أحدهما... و هذا هو الموقف... الا ان يواجه هذه
الايام المصيريه في التاريخ ببلادة وئله.

و رحم الله السيد الحميري يعكس هذا الوعي
المتقدم للتأريخ و الصراع بين الحق والباطل في
التأريخ في أبيات من الشعر ملؤها الوعي و الحكمة
ودرك مسؤولية الموقف، حيث يقول:

إني أدين بما دان الوصي به***يوم الريضة^(١)
من قيل المحلينا
وبالذي دان يوم النهر^(٢) دنتُ له***وصافحت
كفّه كفي بصفينا
تلك الدماء جميعاً ربّ في عُنتي***ومثله معه
آمين آمينا

إن الذي جرى في صفين و الطف من الصراع،
صراع حقيقي و حضاري لم ينقطع برفع المصاحف
و تحكيم الحكّمين في صفين، و بمصرع
الحسين (عليه السلام) و أصحابه في الطف.
و إنما خصّصت صفين و الطف بالذكر، لأن
أعظم الحروب الفاصلة في التاريخ الإسلامي ثلاثة:

(١) يوم الريضة: يوم الجمل.

(٢) يوم النهر: النهروان.

بدر و صفين و الطف و هي؟ أعظم أيام الفرقان
في تاريخ الإسلام.

و تمتد هذه المواجهة، و يمتد هذا الصراع بين
الفريقين الى اليوم... و هذا هو التاريخ، و هذا
التاريخ هو الأساس في التركيب السياسي و
الحضاري لحاضر هذه الأمة، و لا يمكن و لا يصح
فصل «الماضي» عن «الحاضر»؛ و الأبناء يرثون
«المواقع» و «المواقف» عن الآباء. و أقصد بالموقع
الحدث التاريخي، و بالموقف ما يجب على الإنسان
من قول و فعل تجاه الحدث، فإذا كانت «الموقعة»
صراعاً حضارياً و لم تكن صراعاً على جزيرة في
البحر أو آبار من النفط فإنها تنتقل من جيل الى
آخر، و تخترق الماضي و تتصل بالحاضر، و
يتوارثها الأبناء عن الآباء و عندئذ لا يمكن فصل
«المواقف» عن «المواقع» فتنتقل هذه المواقع الى

الجيل الحاضر بما يتطلب من «المواقف» بالنسبة الى كل فريق من الفريقين المتصارعين. فإن هذا الإرث لا يختص بفريق دون فريق فكما يرث الصالحون موارث الصالحين من المواقع و المواقف، كذلك يرث المستكبرون و أتباعهم موارث المستكبرين من المواقع و المواقف، و نحن نقرأ في النصوص المرويّة عن أهل البيت (عليهم السلام) في الزيارة ميراث المواقف بوضوح بصور مختلفة، و إليك بعض النماذج من هذه المواقف.

ميراث الولاء والبراءة:

و من أبرز هذه النماذج: ميراث الولاء والبراءة، الولاء لأولياء الله و البراءة من أعداء الله و هذا الولاء و هذه البراءة ليس مفهوماً مجرداً عن ظروف الصراع و المواجهة، و إنما هو جزء لا يتجزأ من الموقف السياسي في هذا الصراع الذي شطر الساحة

الاسلامية الى شطرين، يتوارثها الانبياء عن الآباء
جبلاً بعد جيل فلنقرأ شطراً من تراث الولاء في زيارة
الجامعة المعروفة :

«أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ
وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ، كَافِرٌ بَعْدُوكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ،
مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلَالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ،
مُؤَالٍ لَكُمْ وَلَاوِيَاءِكُمْ، مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ
وَمُعَادٍ لَهُمْ، سَلِمٌ لِمَنْ سَأَلَكُمْ، وَحَرْبٌ
لِمَنْ حَارَبَكُمْ، مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ، مُبْطِلٌ لِمَا
أَبْطَلْتُمْ.»

وفي زيارة الحسين (عليه السلام): «فَلَعَنَ
اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ
عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ
عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمْ الَّتِي

رَتَّبَكُمُ اللهُ فِيهَا» «اللَّهُمَّ الْعَنِ أَوْلَ ظَالِمِ
ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَأَلِ مُحَمَّدٍ وَأَخِرَ تَابِعَ لَهُ
عَلَى ذَلِكَ، اللَّهُمَّ الْعَنِ الْعِصَابَةَ الَّتِي
جَاهَدَتِ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَشَايَعَتْ
وَبَايَعَتْ وَتَابَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ، اللَّهُمَّ الْعَنَّهُمْ
جَمِيعاً».

وفي زيارة عاشوراء غير المعروفة:
«اللَّهُمَّ وَهَذَا يَوْمٌ تَجَدَّدُ فِيهِ النِّقْمَةُ وَتُنزَلُ فِيهِ
اللَّعْنَةُ عَلَى اللَّعِينِ يَزِيدَ وَعَلَى آلِ يَزِيدَ وَعَلَى
آلِ زِيَادَ وَعَمْرَ بْنَ سَعْدَ وَالشَّمْرَ، اللَّهُمَّ
الْعَنَّهُمْ وَالْعَنِ مَنْ رَضِيَ بِقَوْلِهِمْ وَفَعَلِهِمْ مِنْ
أَوْلٍ وَأَخِرٍ لَعْنَا كَثِيراً وَأَصْلِهِمْ حَرَّ نَارِكِ،
وَأَسْكَنْهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً وَأَوْجِبْ
عَلَيْهِمْ وَعَلَى كُلِّ مَنْ شَايَعَهُمْ وَبَايَعَهُمْ

وَتَابِعَهُمْ وَسَاعَدَهُمْ وَرَضِي بِفِعْلِهِمْ وَافْتَحَ
 لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى كُلِّ مَنْ رَضِيَ بِذَلِكَ
 لِعَنَاتِكَ الَّتِي لَعَنْتَ بِهَا كُلَّ ظَالِمٍ وَكُلَّ
 غَاصِبٍ وَكُلَّ جَاحِدٍ وَكُلَّ كَافِرٍ وَكُلَّ مُشْرِكٍ
 وَكُلَّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ وَكُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، اللَّهُمَّ
 الْعَنِ يَزِيدَ وَأَلَ يَزِيدَ وَبَنِي مَرْوَانَ جَمِيعًا،
 اللَّهُمَّ وَضَعْفُ غَضَبِكَ وَسَخَطُكَ وَعَذَابُكَ
 وَنَقِمَّتِكَ عَلَى أَوْلِ ظَالِمٍ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِ
 نَبِيِّكَ، اللَّهُمَّ وَالْعَنِ جَمِيعَ الظَّالِمِينَ لَهُمْ
 وَأَنْتَقِمَ مِنْهُمْ إِنَّكَ ذُو نِقْمَةٍ مِنَ الْمُجْرِمِينَ.

ميراث الرضا والسخط :

و يدخل في ميراث الولاء والبراءة ميراث الرضا
 و السخط: الرضا عما يرضى به اولياء الله و السخط
 عما يسخط عليه اولياء الله.

والرضا و السخط و الحب و البغض من أبرز
إمارات الايمان و مقومات الولاء و البراءة، و هو
العمق الحقيقي للموقف السياسي، و الموقف
السياسي من دون هذا العمل ضحل غير مقاوم.
و هذا الارتباط و الايمان النفسي هو الذي يمنح
الموقف السياسي العمق و المقاومة و الصلابة.

الرضا و السخط في زيارة الصديقة فاطمة
الزهراء (عليها السلام): «أشهد الله و ملائكته
اني راض عمن رضيت عنه، ساخط على من
سخطت عليه، مُتَبَرِّءٌ مِمَّنْ تَبَرَّأَتْ مِنْهُ، مَوَالٍ لِمَنْ
وَالَيْتَ، مَعَادٍ لِمَنْ عَادَيْتَ، مَبْغُضٌ لِمَنْ ابْغَضْتَ،
مُحِبٌّ لِمَنْ أَحْبَبْتَ».

وفي فقرة أخرى من الزيارة: « أَشْهَدُ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ أَنِّي وَلِيُّ لِمَنْ وَالَاكَ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ
عَادَاكَ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكَ ».

وهذا الولاء والبراءة والسلم والحرب والحب
والبغض والرضا والسخط هو ميراث الخلف الصالح
من السلف الصالح، وميراث الصالحين والصدقين
من الانبياء عليهم السلام وميراث الانبياء في حركة
المواريث الحضارية التي تتحول من جيل الى جيل

السلم والتسليم:

و من خصائص الموقف: السلم و التسليم،
والتسليم مرتبة فوق السلم، فلا بد أن يكون الموقف
موقفاً سلمياً مسالماً مطبوعاً بطابع السلم لله و لرسوله
ولأوليائه وعباده الصالحين: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً).^(١)

(١) البقرة: ٢٠٨.

و لا يكون مشوباً بشائبة التحدي: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ
مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَانَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً
فِيهَا).^(١)

ولا طغياناً و استكباراً على الله تعالى: (وَلَا تَطْغَوْا
فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي).^(٢)

ولا شقاقاً: (وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ).^(٣)
.... هذا أولاً.

ولابد ثانياً ان يكون الموقف قائماً على «التسليم»
والطاعة لله و لرسوله و لاولياء امور المسلمين وهاتان
صفتان بارزتان للموقف «السلم» و «التسليم» في نية
العبد و قلبه و عمله و سلوكه في وقت واحد. و لابد
ان يكون السلم و التسليم و التبعية في النية و القلب

(١) التوبة: ٦٣.

(٢) طه: ٨١.

(٣) الحج: ٥٣.

والسلوك والحركة والمنطق والخطاب فإذا كان الامر كذلك، و اتصف الموقف السياسي بالسلم و التسليم في النية و العمل و في الباطن و الظاهر فلا يستطيع الناس مجتمعين أن يتحدوا هذا الموقف بموقف عكسي يجتمع عليه الناس (الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم ايماناً، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) ال عمران / ١٧٢.

و عندئذ يكون الانسان المؤمن لوحده «أمة»، ينهض برسالة الامة و يمتلك مقاومة الامة وصلابتها كما كان ابونا ابراهيم أبو الانبياء (عليه السلام) لوحده أمة بنص القرآن: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا حَنِيفًا و لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)^(١)

(١) النحل: ١٢٠.

و من دون السلم و التسليم لا يقوم موقف في التاريخ، في الصراع والقيادة والأمامة، و اذا جرّدنا الموقف منهما لا يبقى منه شيء وهما روح كلّ بيعة لله و لرسوله ولأئمة المسلمين؛ فان البيعة أن يبيع الانسان كلّ ما آتاه الله من الرأى، و الحب، و البغض، و الجهد، و النفس، و المال، و البنين لله تعالى مرة واحدة، و يتجرد من كل شيء لله تعالى، ثم لا ينظر وراءه بعد ذلك حسرة على ما باع و متردداً فيما فعل، فقد باع لله كل شيء و قبض الثمن يبيع ربيع فلا إقالة و لا استقالة.

ذلك جوهر الموقف من أولياء امور المسلمين و أئمة المؤمنين. تأملوا في النصوص التالية من زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) و اهل بيته أئمة المسلمين (عليهم السلام).

في زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله):
«قلبي لكم سلمٌ و نصرتي لكم معدة حتى
يحكم الله دينه، فمعكم معكم لا مع عدومكم».

في زيارة الحسن (عليه السلام): « لِيَبِّكَ
دَاعِيَّ اللهُ اِنْ كَانَ لَمْ يُجِبْكَ بَدَنِي عِنْدَ
اسْتِغَاثَتِكَ وَلِسَانِي عِنْدَ اسْتِصَارِكَ، فَقَدْ
اَجَابَكَ قَلْبِي وَسَمْعِي وَبَصْرِي ».

و في زيارة أبي الفضل العباس (عليه
السلام): « وَقَلْبِي مُسَلِّمٌ لَكُمْ وَتَابِعٌ، وَاَنَا لَكُمْ
تَابِعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ».

و في زيارة الحسين (عليه السلام) يوم
الأربعين: « وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سَلْمٌ وَآمْرِي لِأَمْرِكُمْ

مُتَّبِعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مَعْدَةٌ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ
لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ صَلَوَاتُ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَرْوَاحِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ
وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَظَاهِرِكُمْ وَبَاطِنِكُمْ
آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ».

و هذه المعية التي يرددها الزائر في التعبير عن
موقفه و ولائه لأئمة المسلمين هو روح الموقف
و الولاء. معية في السراء و الضراء، و في السلم و
الحرب، و في اليسر و العافية و الشدة و المحنة، و
معية في الدنيا و في الآخرة إن شاء الله.

الدعاء بالنصر الثأر:

و من متطلبات الموقف: الدعاء بالنصر، فعند ما
يكون الموقف صادقاً نابعاً من القلب يطلب الانسان
النصر من الله تعالى لامام المسلمين و للمسلمين،

بكل وسيلة، ومن هذه الوسائل الدعاء بالنصر بين يدي الله تعالى و الدعاء من أفضل هذه الوسائل أحسنها غير أنه لا يغني عن العمل و العطاء و التضحية.

وأول من رفع الدعاء الى الله تعالى، يطلب فيه النصر لاوليائه عليهم السلام والخذلان لا عدائهم هو رسول الله صلى الله عليه وآله حيث دعا صلى الله عليه وآله في (غدير خم) بعد ان نصب علياً عليه السلام لامامة المسلمين ودعاه فقال: (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من خذله....الخ) ^(١).

(١) في اطراف المسند المعتلي باطراف المسند الحنبلي لابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني في مواضع عديدة من الكتاب. وأتحاف الخيرة بزوائد المساند العشرة لاحمد بن ابي بكر التوحيد ط الرياض ٧ / ٢١١-٢١٢-٢١٣-٢١٤-٢١٥، والاحكام الشرعية لعبد الحق الاشيلي ٤ / ٢٨١، والبحر الزخا، ومسند البزار في مواضع عديدة من الكتاب والسنن الكبرى للنسائي في مواضع كثيرة والمستدرک على الصححين في مواضع كثيرة والمسند الجامع لابي المعاطي الثوري في مواضع كثيرة وفي المطالب العالية بزوائد المسانيد، والمعجم الاوسط للطبري في مواضع كثيرة ومصادر أخرى لا نطيق احصائها في هذه العجالة.

وقد ورد الدعاء بهذا المضمون لدعم الموقف السياسي في كثير من نصوص الزيارات المروية عن أهل البيت (عليهم السلام) و اليكم نماذج من ذلك:

في زيارة الامام المتظر المهدي من آل محمد (صلى الله عليه وآله) و عجل الله تعالى فرجه نقراً: «اللهم انصره وانتصر به لدينك، و انصر به اوليائك، اللهم و أظهر به العدل، و أيده بالنصر، و انصر ناصريه، و اخذل خاذليه، و اقصم به جبابرة الكفر، و اقتل الكفار و المنافقين، و املاً به الارض عدلاً، و اظهر به دين نبيك».

و من نماذج ذلك الدعاء للامام المهدي (عليه السلام) (عجل الله تعالى فرجه)

«اللهم انك أيدت دينك في كل أوان بامام اقمته لعبادك و مناراً في بلادك بعد أن اوصلت حبله بحبلك، وجعلته الذريعة الى رضوانك...

اللهم فأوزع لوليك شكر ما أنعمت به عليه، و
أوزعنا مثله فيه، و آتِه من لدنك سلطاناً نصيراً،
وافتح له فتحاً يسيراً و أعنه بركنك الأعز،
واشدد أزره، و قوّ عضده و راعه بعينك، و
احمه بحفظك، و انصره بملائكتك، و امدد
بجندك الاغلب، و أقم به كتابك و حدودك و
شرائعك و سنن رسولك (صلى الله عليه وآله) و
أحي به ما أماته الظالمون من معالم دينك، و
أجل به صدأ الجور عن طريقك، و ابن به
الضراء من سبيك، و أزل به الناكبين عن
صراطك، و امحق به بغاة قصدك عوجاً، و ألن
جانبه لأولياك، و ابسط يده على اعدائك، و هب
لنا رأفته و رحمته و تعطفه و تحننه، و اجعلنا له
سامعين مطيعين، و في رضاه ساعين و الى
نصرتِه و المدافعة عنه مكنفين».

وفي زيارة الامام صاحب الزمان (عليه السلام) و (عجل الله تعالى فرجه) ايضاً:

« اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّآلِ مُحَمَّدٍ
وَاطْهَرِ كَلِمَتَكَ التَّامَّةَ وَمَغِيْبِكَ فِي اَرْضِكَ
الْخَائِفِ الْمُرْتَقِبِ، اَللّٰهُمَّ اَنْصُرْهُ نَصْرًا
عَزِيْزًا وَاَفْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيْرًا، اَللّٰهُمَّ وَاَعِزِّ بِهِ
الدِّيْنَ بَعْدَ الْخُمُوْلِ، وَاَطْلِعْ بِهِ الْحَقَّ بَعْدَ
الْاُفُوْلِ، وَاَجَلِّ بِهِ الظُّلْمَةَ وَاكْشِفْ بِهِ الغُمَّةَ،
اَللّٰهُمَّ وَاْمِنْ بِهِ الْبِلَادَ، وَاَهْدِ بِهِ الْعِبَادَ،
اَللّٰهُمَّ اَمْلَأْ بِهِ الْاَرْضَ عَدْلًا وَّقِسْطًا كَمَا
مِلْتَّ ظُلْمًا وَّجَوْرًا. »

الدعاء بالثأر:

(النصر) في ساحة المعركة وعند اشتباك
الصفوف (الثأر) بعد انقضاء المعركة،

و(الثار) والدعاء بـ«الثار» جزء من الموقف؛ ان موقف أسرة التوحيد من ابراهيم(عليه السلام) بل من نوح(عليه السلام) الى اليوم موقف واحد، و الخط، و المنطلق واحد، و الغاية واحدة، و يمتد هذا الموقف من كدُن ابراهيم(عليه السلام) الى ان يظهر المهدي من آل محمد - عجل الله تعالى فرجه - ليختم الله على يده بالنصر و الفتح هذه المسيرة الحافلة بالدماء، و الدموع، و الفتوحات، و الانتكاسات، و البأساء، و الضراء، و لينتقم الله تعالى به من الذين قتلوا و ظلموا و اضطهدوا قادة هذه المسيرة وأئمتها و ابناءها و الذين صدّوا عن دين الله.

ومن أعظم ما مرّ على هذه الاسرة من المصائب و الفتك و الظلم و البطش و القتل مصرع الحسين(عليه السلام) و اهل بيته و اصحابه(عليهم السلام) في كربلاء.

فنتطلب من الله أن يجعلنا ممن ينتقم به من أولئك
الظالمين وامتداداتهم واتباعهم وممن رضي بفعالهم.
فإن الثأر ممن يسير على نهج أولئك الظالمين و
يرضى بفعالهم من الانتقام و الثأر الذي يشفي به الله
تعالى قلوب قوم مؤمنين و يغیظ به قلوب المنافقين
و المشركين.

و قد ورد الدعاء بالثأر كثيراً في نصوص زيارة
الحسين (عليه السلام) وزيارة ولده الامام المهدي -
عجل الله تعالى فرجه - .

و من ذلك ما ورد في زيارة عاشوراء غير
المعروفة: «اللهم واجعلنا من الطالبين بثأره مع
امام عدل تعزّب به الاسلام و أهله يا ربّ
العالمين».

وفي زيارة عاشوراء: (فاسأل الله الذي أكرم
مقامك و أكرمني بك أن يرزقني طلب شارك مع إمام
منصور من أهل البيت عليه السلام نبيك صلى الله عليه وآله .

مفاهيم ومعاني أخرى في نصوص الزيارات

وتختزن نصوص الزيارات مفاهيم وعناوين ومعاني شريفة ورفيعة أخرى، نتوقف عندها إن شاء الله وقفات قصيرة. منها

١_ **الدعاء لرسول الله** وأهل بيته والصلاة عليهم واستنزال الرحمة عليهم من عند الله: «اللهم صلّ على محمد وآله صلوات تجزل لهم بها من نحلِكَ وكرامتك، وتكمل لهم عطاياك و نوافلك، وتوفر عليهم الحظ من عوائدك و فوافضلك».

و في زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله):
«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَحَنَّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ

وَتَحَنَّنْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ
إِبْرَاهِيمَ».

٢- الدعاء له (صلى الله عليه وآله): ولأهل بيته:
أن يجعلهم الله تعالى وسائل لعباده الى رحمته
وشفعاء لعباده اليه، في زيارة رسول الله (صلى الله
عليه وآله): «مَجِيدَ اللّٰهِمَّ اعْطِ مُحَمَّدًا الوَسِيْلَةَ
وَالشَّرِيفَ وَالْفَضِيْلَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الْكَرِيْمَةَ، اللّٰهُمَّ
اجْعَلِ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ اعْظَمَ الْخَلَائِقِ
كُلِّهِمْ شَرِيفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاقْرِبْهُمْ مِنْكَ
مَقْعَدًا، وَاوْجِهْهُمْ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاهًا
وَأَفْضَلْهُمْ عِنْدَكَ مَنْزِلَةً وَنَصِيْبًا، اللّٰهُمَّ اعْطِ
مُحَمَّدًا اشْرَفَ الْمَقَامِ، وَجِبَاءَ السَّلَامِ،
وَشَفَاعَةَ الْاِسْلَامِ، اللّٰهُمَّ وَالْحَقْنَا بِهِ غَيْرِ
خَزَايَا وَلَا نَاكِثِيْنَ وَلَا نَادِمِيْنَ وَلَا مُبْدِلِيْنَ، اِه
الْحَقِّ آمِيْنَ».

وفي زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله):
«وَأَعْطِهِ الْفَضْلَ وَالْفَضِيْلَةَ وَالْوَسِيْلَةَ

وَالدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ وَأَبْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً
يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ».

٣- التوسل برسول الله (صلى الله عليه وآله)

و أهل بيته (عليهم السلام) و طلب الشفاعة منهم بإذن
الله: « اَللّٰهُمَّ بِمُحَمَّدٍ وَاَهْلِ بَيْتِهِ عِنْدَكَ وَجِيهاً
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، يَا مُحَمَّدُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا بَابِي أَنْتَ وَآمِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَا
سَيِّدَ خَلْقِ اللَّهِ، أَنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَيَّ اللَّهُ رَبِّكَ
وَرَبِّي لِیَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، وَيَتَقَبَّلَ مِنِّي عَمَلِي،
وَيَقْضِي لِي حَوَائِجِي، فَكُنْ لِي شَفِيعاً عِنْدَ
رَبِّكَ وَرَبِّي، فَنَعْمَ الْمَسْئُولُ الْمَوْلَى رَبِّي،
وَنَعْمَ الشَّفِيعُ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، عَلَيْكَ وَعَلَى
أَهْلِ بَيْتِكَ السَّلَامُ».

في زياره أئمة أهل البقيع (عليهم السلام):
«وهذا مقام من أسرف وأخطأ واستكان

وَأَقْرَبُ مَا جَنَى وَرَجَا بِمَقَامِهِ الْخَلَاصَ، وَأَنْ
يَسْتَنْقِذَهُ بِكُمْ مُسْتَنْقِذُ الْهَلَكَى مِنَ الرَّدَى،
فَكُونُوا لِي شَفَعَاءَ، فَقَدْ وَفَدْتُ إِلَيْكُمْ إِذْ
رَغِبَ عَنْكُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا، وَاتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ
هَزُؤًا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا.»

و في زياره حمزة عم رسول الله (صلى الله
عليه وآله): « أَتَيْتُكَ مِنْ شِقَّةٍ بَعِيدَةٍ طَالِبًا
فَكَأَنَّ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، وَقَدْ أَوْقَرْتُ ظَهْرِي
ذُنُوبِي، وَأَتَيْتُ مَا أَسْخَطَ رَبِّي، وَلَمْ أَجِدْ
أَحَدًا أَفْزَعُ إِلَيْهِ خَيْرًا لِي مِنْكُمْ أَهْلَ بَيْتِ
الرَّحْمَةِ، فَكُنْ لِي شَفِيعًا.»

٤- التوجه الى الله تعالى بسؤال صحبتهم و
جوارهم في الآخرة و الثبات على هديهم و
صراطهم في الدنيا، و أن نعيش في الدنيا كما عاشوا
و نموت على ما ماتوا عليه، و نحشر في زميرتهم و

معهم في الآخرة كما رزقنا الله هداهم و موذتهم في الدنيا.

ورد في زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله): « وأعوذ بكرم وجهك أن تقيمني مقام الخزي والذل يوم تهتك فيه الأستار، وتبدو فيه الأسرار والفضائح، وترعد فيه الفرائص، يوم الحسرة والندامة، يوم الأفكة، يوم الازفة، يوم التغابن، يوم الفصل، يوم الجزاء، يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة، يوم النفخة، يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة، يوم النشر، يوم العرض، يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، يوم تشقق الأرض وأكناف السماء، يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، يوم

يُرَدُّونَ إِلَى اللَّهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، يَوْمَ لَا
يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى».

و بعد هذه الجولة من الدعاء، بطلب صحبة
رسول الله واهل بيته واولياء الله في ذلك اليوم
الرهيب:

«اللَّهُمَّ ارْحَمِ مَوْقِفِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
بِمَوْقِفِي فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَلَا تَخْزِنِي فِي ذَلِكَ
الْمَوْقِفِ بِمَا جَنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِي، وَاجْعَلْ يَا
رَبِّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعَ أَوْلِيَائِكَ مُنْطَلِقِي، وَفِي
زَمْرَةِ مُحَمَّدٍ وَاهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
مُحْشِرِي، وَاجْعَلْ حَوْضَهُ مَبْرُورِي، وَفِي
الْغُرِّ الْكِرَامِ مَصْدَرِي، وَاعْطِنِي كِتَابِي
بِيَمِينِي حَتَّى أَفُوزَ بِحَسَنَاتِي».

في زيارة ابي الفضل العباس (عليه السلام):

«فجمع الله بيننا وبينك و بين رسوله و اوليائه».

وورد في بعض نصوص الزيارات: « وَثَبَّتْ
لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ

الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَدَلُوا مَهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ.»

وَفِي دُعَاءِ عُلُقْمَةَ بَعْدَ زِيَارَةِ عَاشُورَاءِ:
«اللَّهُمَّ أَحْيِنِي حَيَاةَ مُحَمَّدٍ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَمِتْنِي
مَمَاتِهِمْ وَتَوَفَّنِي عَلَيَّ مَلَّتِهِمْ، وَأَحْشِرْنِي فِي
زَمَرَتِهِمْ وَلَا تَفْرُقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ
أَبْدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.»

وَفِي زِيَارَةِ عَاشُورَاءِ غَيْرِ الْمَعْرُوفَةِ:
«اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ
وَاجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِي مَمَاتِهِمْ وَلَا
تَفْرُقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنَّكَ
سَمِيعُ الدُّعَاءِ.»

وَفِي زِيَارَةِ الْجَامِعَةِ:
«فَثَبْتَنِي اللَّهُ أَبْدًا مَا حَيَّيْتُ عَلَى مُوَالَاتِكُمْ
وَمَحَبَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ، وَوَفَّقَنِي لَطَاعَتِكُمْ،
وَرَزَقَنِي شِفَاعَتِكُمْ، وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ
مَوَالِيكُمُ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ، وَجَعَلَنِي

مَمَّنْ يَقْتَصْ آثَارِكُمْ، وَيَسْأَلُكَ سَبِيلَكُمْ،
وَيَهْتَدِي بِهَدَاكُمُ وَيَحْشُرُ فِي زَمْرَتِكُمْ، وَيَكْرِ
فِي رَجْعَتِكُمْ، وَيَمْلِكُ فِي دَوْلَتِكُمْ، وَ
يُشْرَفُ فِي عَافِيَتِكُمْ، وَيَمَكِّنُ فِي أَيَّامِكُمْ،
وَتَقْرُ عَيْنُهُ غَدًا بِرُؤْيَتِكُمْ».

وفي زيارة ابي الفضل العباس (عليه
السلام):

«فجمع الله بيننا وبينك وبين رسوله و
اوليائه في منازل المحبتين».

وبهذه الصورة تكتمل اواصر العلاقة بين الزائر و
المزور. وهي علاقة متبادلة، فيها دعاء و سلام و
صلوات على المزور من ناحية الزائر، وفيها الدعاء
من الله بطلب شفاة المزور و صحبته في الدار
الآخرة، و الواسطة في هذه العلاقة في كل من
الطرفين هو الله، فهو سبحانه و تعالى المسؤول
الواهب اولاً و اخيراً.

الفهرس

أسرة التوحيد في التاريخ	٥
التواصل واللقاء بين اجيل هذه الاسرة:	٧
الزيارة :	١٧
دراسة في مضامين نصوص الزيارات	٢٢
محور الولاء والبراءة في الزيارات	٢٣
الولاء	٢٥
ثقافة الولاء	٢٨
١- خطوط الولاء	٢٨
٢- عناصر الولاء	٣٣
أ- الايمان والتصديق	٣٣
ب- الطاعة	٣٤
ج- الحب والمودة	٣٤
د- النصر	٣٥
هـ- المعية والتعية:	٣٦
و- السلام	٣٧

- ز- النصيحة ٣٨
- ٣- نسيج الولاء ٣٩
- ٤- توثيق الولاء ٤٣
- ٥- قيمة الولاء ٤٨
- الحالة الحركية للأمة ٥٠
- الأمة ٥١
- ٦- الوجه الآخر للولاء ٥٦
- ٧- ضريبة الولاء ٥٩
- ٨- فضيلة الولاء ٦١
- شيعة علي عليه السلام هم الفائزون ٦٢
- علي وشيعته خير البرية: ٦٤
- من هم الرافضة؟ ٦٦
- المؤمنون يزدهون لأهل الجنة كما تزدهر
السماء بالنجوم ٦٨
- ينظرون بنور الله ٦٩
- أهل البيت عليهم السلام يحبون شيعتهم: ٧٠
- من عادى شيعتهم عاداهم ومن والى شيعتهم

والاهم:	٧٥
الحقوق المتبادلة بين أهل البيت <small>عليهم السلام</small> وشيعتهم:	٧٧
نصوص الزيارات في دائرة الولاء والبراءة.....	٧٨
أ - الشهادة :	٨٢
حلقات الصراع على التأويل في تاريخ الاسلام:	٨٧
الشهادة بالوراثة:.....	٨٩
الشاهد و المشهود :	٩٤
ب - الموقف :	٩٦
ميراث الولاء و البراءة:.....	١٠١
ميراث الرضا و السخط :.....	١٠٤
السلم و التسليم:.....	١٠٦
الدعاء بالنصر الثأر :	١١١
الدعاء بالثأر :.....	١١٥
مفاهيم ومعاني أخرى في نصوص الزيارات	١١٨
الفهرس	١٢٦